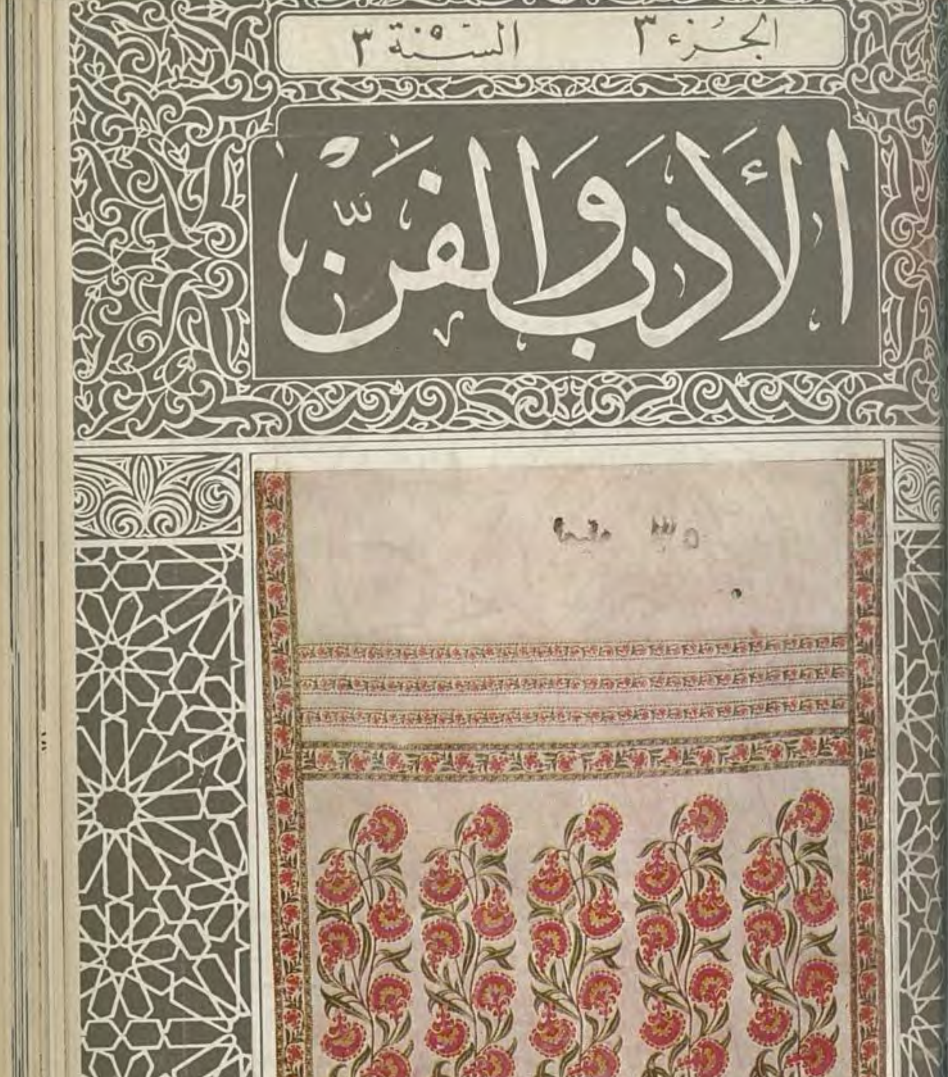
الجزء ٣ السنة ٣

الأدب والفن

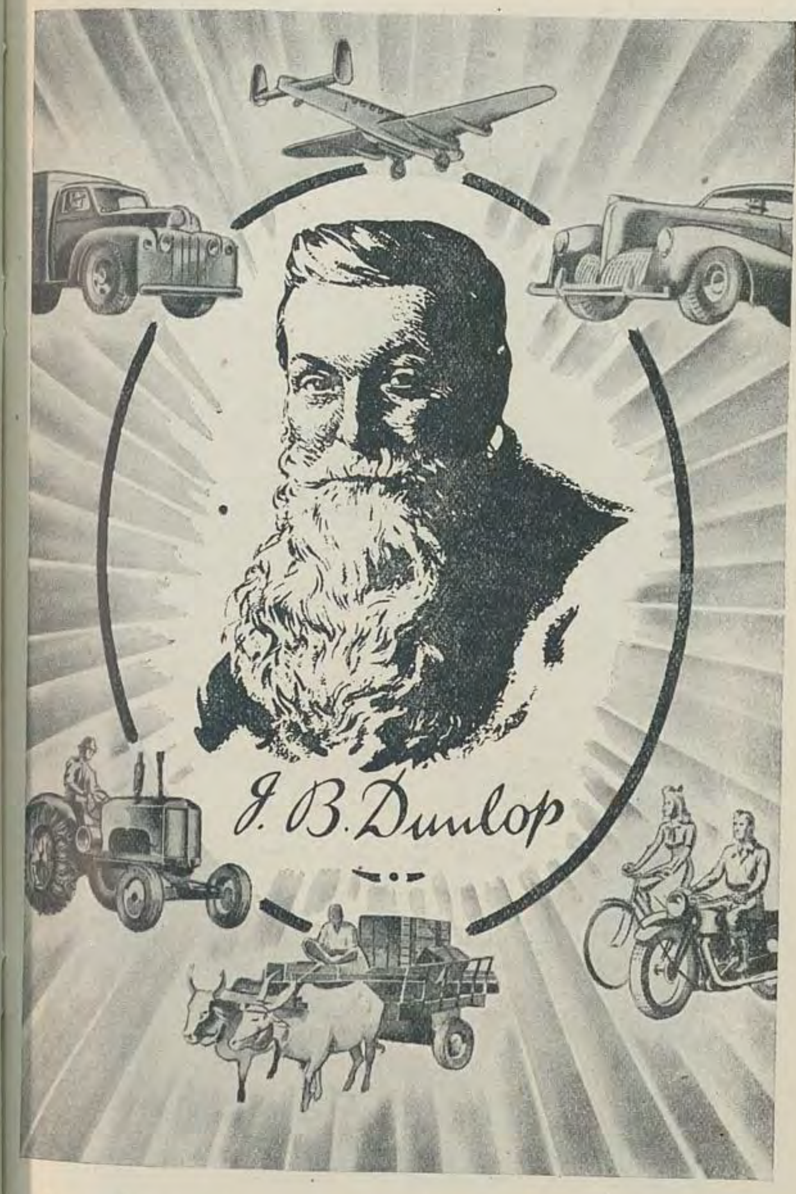


جزء من حزام التشريفات (پاتكا) من صوان ملابس صاحب السمو الرفيع نظام حيدرآباد . متحف ڤكتوريا وألبرت .

مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأفكار



J. A. PHILLIPS & CO., LTD.
Credenda Works, Smethwick 40, Birmingham. England



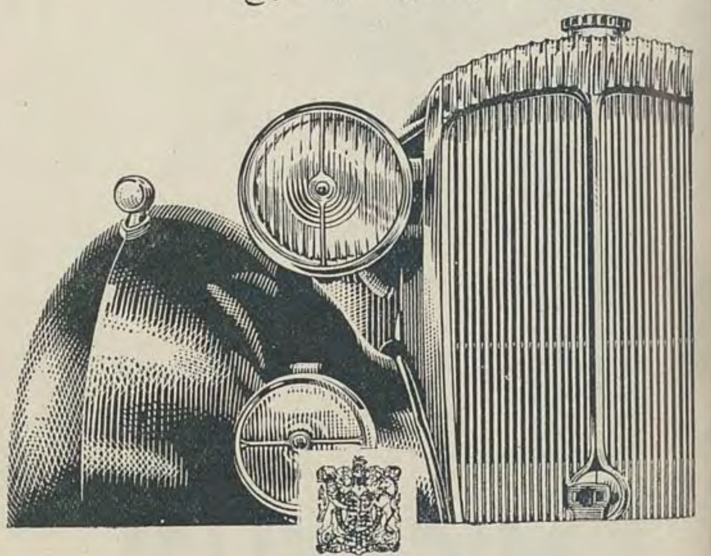
أشهر علامة تجارية للعجلات المطاط فى العالم

شركة دنلوب للمطاط ليمتد، برمنگهام - انكلتره

DUNLOP RUBBER Co. LTD., BIRMINGHAM, ENGLAND. 45x/23.

سنوات الى الأمام فى النقل السيّال

أصبح النقل السيال ا « ديملر » — وتتهافت الآن البلاد الأخرى على اقتباسه — خصيصة تمتاز بها شركة « ديملر » منذ سنوات . وقد كان هذا النظام النقلى أيضا هو الذى أبقى سيارات « ديملر » المدرّعة ، وسيارات الطلائع ، جوّابة على الدوام ، فى ذلك الشوط الطويل الشاق الذى لاحقت فيه جيوش الحلفاء جيش العدو من « العلمين » إلى قلب ألمانيا . وملوك إنكلترة قد وقع اختيارهم على سيارات « ديملر » . وعما قريب ستختار لنفسك سيارة « ديملر » المصنوعة فى أيام السلم ، فخورا بجزانها ذى الأقنية ، الذى يدل على أن أول شىء تهتم به فى سيارتك هو أن تكون من أفخر الأنواع .



Daimler ديملر

شركة ديملر لمتد ... لندن وكوفنتورى ... انكلترة

THE DAIMLER COMPANY LIMITED . . . LONDON AND COVENTRY . . . ENGLAND


مولود فى
أنبوبة اختبار

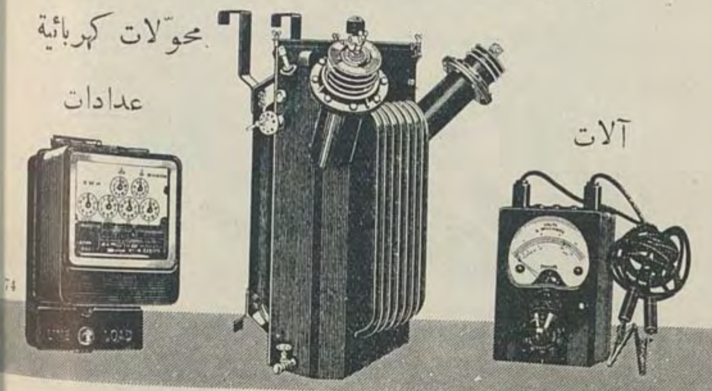


FERRANTI

اختبار نصف قرن وما اكتسب من التجارب الواسعة فى هذه المدة فى المحولات الكهربائية والعدادات وجميع الآلات الكهربائية. هذه الأجهزة ذات الكفاءة الممتازة معروضة الآن لخدمة العالم بمحلات.

FERRANTI, Ltd., Hollinwood, Lancashire, ENGLAND.

فيرانتى ليمتد، هولينوود، لانكشير، بانكلترا




منعشة
معطرة
مرطبة
مبردة
YARDLEY
Old English Lavender
TALC POWDER


Courtaulds
LIMITED, ENGLAND.
كورتولدز ليمتد ، انكلتره
الحـــرير الصناعي
ذو البهاء الذي يبقى ...
شراء ملابس جديدة فى هذه الأيام يعتبر حادثة
ذات شأن ، فمن الحزم إذن أن يكون الشراء
قائماً على جودة النوع . وستجد من أجل ذلك
أن من مصلحتك أن تشترى الحلل والملابس
التحتية المصنوعة من حرير كورتولدز
الصناعى . وإذا كنت تفضلين أن تصنعى
ملابسك بنفسك فى البيت فستجدين
فى المنسوجات الحريرية الصناعية
الجميلة المصنوعة من غزل
كورتولدز قماشا ذا جودة
وخدمة وجمال . حرير
كورتولد الصناعى لا
يزال الحصول عليه
ممكنا، وإن كانت
كميته محدودة.
TESTED QUALITY
WORLD DISTRIBUTORS FOR
COURTAULDS FABRICS :
SAMUEL COURTAULD & Co:
LTD., LONDON, ENGLAND:

الأدب والفن

المحتويات

يسر إدارة التحرير أن يوافيها القراء بمقالات لنشرها. وقرار هيئة التحرير فيما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى. وستعاد المقالات لأصحابها فى حالة ما إذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد . وعنوان رئيس التحرير :—

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

صفحة من تاريخ الخط في العراق

سفيان الوهبي الخطاط في بغداد

بقلم عباس العزاوي المحامي ببغداد

الفنون الجميلة فى العراق قديمة لا يوازيها فى القدم إلا مصر . ولما ظهر الاسلام تغيرت الوجهة واختلف الذوق ومالت الرغبات إلى نواح جديدة، وأكثر ما برزت واضحة فى الخط العربى الذى نال ذيوعا وانتشارا .

كان هذا الخط قد بعثته الحاجة، ثم زاد التفنن فيه وتوغلت الصنعة حتى دعت إلى تكامله، وأدى ظهور النوابغ فيه إلى إتقان الجمال وحسن الذوق بقدر ما أوتى القوم من علم ورفاه وثراء . وفى كل حالاته لم ينفك عن مراعاة تلك الحاجة وذلك الكمال فى جميع صفحات تطوره وتنوعه، ولا شك أنه لسان اليد، ومتعة الناظر، وزينة الكاتب والشاعر .

نشأ الخط العربى الكوفى فى الكوفة وتعاونت الأنحاء العراقية على تكامله، ومن أهم المدن اشتغالا فيه البصرة وواسط . وفى عهد الدولة العباسية علا شأنه فى بغداد على يد ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت الملكى، وكثيرين من مشاهير الأساتذة . وهكذا كان ياقوت المستعصمى وأحمد السهروردى وآخرون لا يكادون يحصون .

شاع فى البلاد الاسلامية والعربية على يد هؤلاء وأمثالهم من أكابر الخطاطين. فحذت الأقطار حذوهم فى التعاون على كل ما لحقه من تحول أو تطور، فاستقر فى الشام ومصر والحجاز، كما تمكن فى الأقطار التركية وإيران والهند والأفغان، وربما تجاوز ذلك إلى أقصى الأقطار، ودام إلى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) .

ومن ثم لحقه ما لحقه من غفلة الزمن، بل أصابه الاهمال لما ابتلى به



فى أعلى، خط غالب الفوزى وهو من تلاميذ سفيان الوهبى. فى أسفل، إجازة سفيان الوهبى للخطاط غالب الفوزى .



العراق من فتن، ولكنه لم يخل فى وقت من خطاطين بارعين فى الصنعة متمكنين منها فثبتوا خطوطهم فى آثار عديدة، فمال الخط إلى مواطن الرغبة فى الممالك التى تمكنت فيها الثقافة أكثر . فبعد أن بلغ فى العراق الذروة وانتهى إلى الغاية من الاتقان مال إلى الأقطار الأخرى وصار هناك مقتدى الأقوام .

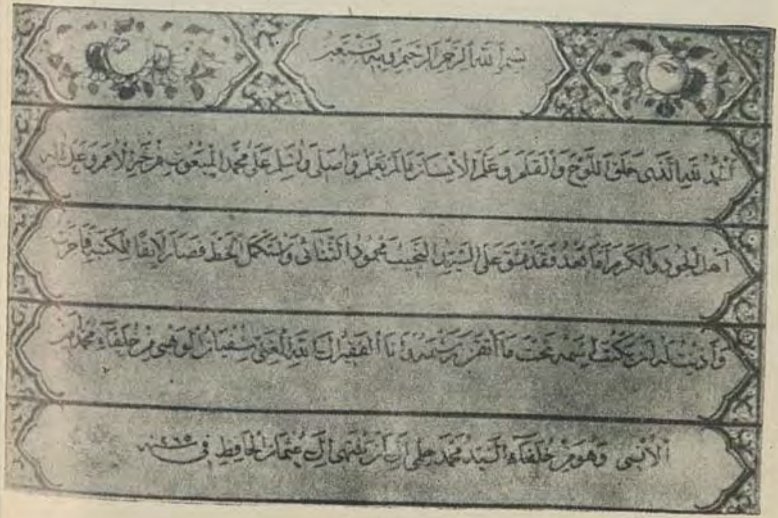
وفى أيام تلك النكبات والمحن التى أصابت العراق عاد العراقيون

يأخذون عن من كانوا تلامذتهم بالأمس فصاروا أساتذتهم اليوم، أخذوا عن الترك والايرانيين، فظهرت فى العراق دولة المماليك المعروفة بـ(الكولات) سنة ١١٦٣ هـ—١٢٤٧ هـ(أى ما بين سنة ١٧٤٩ م وسنة ١٨٣١ م) .

وهذه رعت الآداب والعلوم كما عنيت بالخط العربى فأولته جانبا من اهتمامها، فانتعش بعد أن طرأ عليه ما طرأ من توقف وصار يستعيد مكانته رويدا رويدا . ونماذج الخطوط لأكابر الخطاطين ماثلة أمام أعيننا، والعراق ينتظر وقت الراحة والطمأنينة ليعود إلى سيرته الأولى .

فى أيام هؤلاء المماليك حدثت بعض الطمأنينة وأعيد بناء المدارس الكثيرة فقوى النشاط العلمى والأدبى . وفى هذا العهد برز خطاطون أعاظم كانوا زينة العراق ومظهر ذوقه وإتقانه . . . فكان من آخر هؤلاء أستاذ الخطاطين ونابغتهم سفيان الوهبى .

وهذا النابغة إنما نلتمس حياته فى قطره فنفسر حياته بحياة الصنعة العراقية و إلهامها . ذاع صيته فى العراق وزادت شهرته وعاش أستاذ



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى خلق اللوح والقلم وعلم الانسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على محمد المبعوث من خير الامم وعلى آله

أهل الجود والكرم أما بعد فقد مشق على السيد النجيب محمود الثنائى واستكمل الخط فصار لائقا للكتبة [illegible]

وأذنت له أن يكتب [illegible] تحت ما [illegible] أنا الفقير الى الله الغنى سفيان الوهبى من خلفاء محمد [illegible]

[illegible] وهو من خلفاء السيد محمد حلمى [illegible] عثمان الحافظ فى [illegible]

إجازة سفيان الوهبى للسيد محمود الثنائى .

الخط أكثر من نصف قرن من سنة ١٢١٥ هـ—١٨٠٠ م فى مصحف كتبه بخطه ولا يزال موجودا فى جامع الأحمدية فى بغداد . وآخر خط له كان قد حرره إجازة لتلميذه الخطاط السيد محمود المعروف بالثنائى سنة ١٢٦٥ هـ—١٨٤٨ م وهذه المدة كافية لأن يكون تلامذته كثيرين لا يحصون فهو أستاذ الخط خمسين سنة كاملة .

وصل إلينا الكثير من ألواح خطه، ونعدها من أجل النماذج، فلم يعول العراقيون على من يأخذون الخط عنه سواه، بل اعترفوا بفضله، ولا ريب أن آثاره من أجل ما يعرف به . وقد قدمت ما سمحت به مجلة الادب والفن من أمثلة ناطقة بفضله وقيمة فنه وصنعته .

ومما لا يداخلنا تردد أو ارتياب فيه أن الرجل أخذ عن ألواح خطية معروفة لفنانين كما أنه أخذ عن أساتذة ماهرين . إلا أن الذين أجازوه ووصلت إلينا أخبارهم :—

(١) السيد محمد صادق، من تلاميذ عثمان المعروف بداماد إبراهيم العفيف .

(٢) تبردار حسن الخلوصى، رئيس قهوايتى الخازن لدى الحضرة السلطانية . أجيز منها فى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٢٠ هـ—١٨٠٦ م .

(٣) نعمان الذكائى، من أكابر الخطاطين المشاهير فى العراق . أخذ الخط عن أمين الأنسى، وينتهى سند خطه إلى الخطاط المعروف بحافظ عثمان .

وكفى أن نذكر من معاصريه المشاهير فى الخط :—

(١) محمود الثنائى . وهذا قد أودع فيه غالب مؤسسات داود باشا الخيرية .

(٢) صالح أفندى السعدى . خطاط معروف فى الموصل وأخذ عنه بعض العراقيين وكتب أنواع الخطوط .

(٣) فضل الله أفندى كاتب الديوان . (٤) محمد سعيد النورى .



إجازة لنعم
الـذكائي ب
الأستاذ سفيا
الوهبي.



إجازات أساتذة للخطاط سفيان الوهبي.



إجازة سفيا
الوهبي للخط
درويش مح
الفيضي.

وعصر المماليك طافح بأمثال هؤلاء، فلا مجال للاستقصاء .

أما المتخرجون عليه الآخذون عنه فهم كثيرون لا يحصون، اشتهر منهم ثلة كانوا أساتذة من جاء بعدهم .

(١) درويش محمد المعروف بالفيضى . (٢) غالب الفوزى .

(٣) السيد محمود القلعة لى المعروف بالثنائى أيضا .

(٤) أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الآلوسى .

(٥) السيد عبد الله أفندى الآلوسى .

وسائر الآلوسيين أخذوا عنه بالواسطة .

(٦) بكر أفندى المعروف بآغازاده .

هؤلاء أهل فن لا يستهان بهم بوجه .

ومن تاريخ اشتهار خطه إلى آخر ما عرف من خطوطه يعرف طول المدة التى قضاها فى تعليم الخط وتخريج الأساتذة فيه . وغالب الخطاطين فى بغداد أخذ عنه وأجازهم رأسا أو بالواسطة . وكل ما يقال فيه قليل فقد عرف بالتفوق وإتقان الخط . والمعلوم عنه أنه لا يسمح لأحد أن يدون كتبه إلا أن يتقن الخط ويبرع فيه . فلا يأذن لكل أحد، فصار يضرب المثل بخطه، فيقال خط سفيانى . وقد جمعت مجموعة من خطوطه تعد من بدائع الفن والصنعة . فلا أجدنى فى حاجة إلى ذكر ما هو (موجود) من خطوطه فى المواطن الأخرى .

هذا، وإذا كان عهد المماليك قد فاض بخطاطين كثيرين فان مترجمنا كان أمة فيه ذاع صيته واكتسب المكانة اللائقة وصار لا يفخر أحد بغير خطه بل عاد أستاذا كبيرا ودامت مدرسته إلى وقتنا تتغذى بآثاره الجليلة النفيسة، فرفع بخطوطه رأس العراق عاليا وأعاد له ذكريات قديمة وخواطر جليلة جميلة فى إتقان الفن .

توفى بعد سنة ١٢٦٥ هـ-١٨٤٨ م بقليل ودفن فى مسجد الحاج طالب كهية ببغداد جد محمود شوكة باشا وفخامة حكمة سليمان، رحمه الله رحمة واسعة .

مؤرخ طبيعي للانسانية : ألدوس هكسلي

بقلم اسكندر هندرسون
مؤلف كتاب "تفسير لشخصية ألدوس هكسلي"

كان ألدوس هكسلي (Aldous Huxley) فى وقت ما لا أدريا وماديا، أما الآن فهو يؤمن بمعتقدات مستمدة من الفلسفة الدينية الهندية. وهو فى قصصه ومقالاته وقصائده يكشف عن شخصية شديدة التعقيد، دقيقة على الفهم، ذات ميول متضاربة لايوازن بينها إلا ذهن جبار مشغوف بالتأمل والتفكر.

فمنذ سبعة عشر عاما قال فى كتابه « دراسات صحيحة Proper Studies » (١٩٢٧) : لو ألزمت بتحديد موقفى لقلت إننى امرؤ مثقف يوجه اهتمامه الأكبر إلى دراسة العالم الخارج دون التأمل الباطنى... وأنا أفهم التفسير المادى للحياة الباطنة.

ولكنه فى سنة ١٩٤٤ يقرر أن أركان عقيدته هى : «أن هناك لاهوتا، أساسا، براهما، ضوءا مبينا ينير الفراغ، هو القانون غير الظاهر الذى يكمن وراء كل المظاهر؛ أن الأساس حال فى الأشياء ومتجاوز لها فى وقت معا؛ أن فى مقدور الانسان أن يحب الأساس الالهى، ويعرفه، ويتحد معه وحدة فعل بعد وحدة قوة؛ أن البلوغ إلى هذه المعرفة الاتحادية باللاهوت هو القصد والهدف الأخير للوجود الانسانى.»

ولقد كان هكسلى دائما يدرك العناصر المتضاربة فى شخصيته، وفى مجموعة مقالاته « اعمل ما شئت Do what you will » (١٩٢٩) وضع خلاصة لفلسفة «عبادة الحياة life worship » أو «الافراط المعتدل balanced excess »، بناها على الايمان بمبدأ أساسى هو تعدد جوانب كل شخصية. قال «إن عابد الحياة هو يقينى أحيانا، وصوفى أحيانا أخرى؛

لأدرى مليء بالسخرية، ومؤمن فياض بالايمان . . . والخلاصة أنه يقبل كل نفس من نفوسه المتعددة، حين تظهر فى عقله الظاهر، ويعتبرها إذ ذاك نفسه الحقة فى تلك اللحظة . هو يقبل كل نفس وجميع النفوس — حتى الخبيثة، حتى الوضيعة المعذبة، حتى العابدة للموت والمسيحية بطبعها . هو سيقبل كلا منها، وسيعيش فى كل منها عيشة مفرطة . »

إن شخصية ألدوس هكسلى المعقدة، والقالب العلمى لذهنه، وأسلوبه النثرى الجلى الساطع، يمكن اعتبارها ميزات ومواهب موروثة، فان من سلفه الذين حملوا اسم هكسلى أفرادا كانوا من جبابرة العقول فى القرن التاسع عشر بانكلترة .

ولد فى ٢٦ يوليه سنة ١٨٩٤، وكان الابن الثالث لليونارد هكسلى وجوليا آرنولد . أما أبوه، الذى ولد فى سنة ١٨٦٠، فكان ابن توماس هنرى هكسلى، العالم الذى بذل أعظم الجهد فى تقريب مذهب داروين من عقول عامة الشعب . وأما أمه فكانت ابنة أخ ماثيو آرنولد، مؤلف «رستم وسهراب» وغيرها من القصائد الكثيرة، ومؤلف «الثقافة والفوضوية» وغيره من كتب النقد الأدبى الرائع . وكانت أيضا حفيدة توماس آرنولد، القسيس والناظر المشهور لمدرسة رگبى الذى أدخل إصلاحات كثيرة على نظام المدارس العامة الانكليزية .

كانت البيئة التى نشأ فيها ألدوس هكسلى بيئة تهذيب وثقافة، كما كان أجداده رجال تهذيب وثقافة . عين أبوه أستاذا مساعدا لليونانية فى جامعة سنت آندروز ولما يتجاوز عمره الثالثة والعشرين، ثم صار رئيسا لتحرير مجلة The Cornhill Magazine، وهى من أبرز المجلات الانكليزية . وقد احتفظ بهذا المنصب سنوات كثيرات، كما عين مستشارا أدبيا لشركة الطبع والنشر سميث وإلدر . وفى سنة ١٨٧٢ تزوجت خالته مارى أوغستا آرنولد بالناقد والمحرر توماس همفرى وارد، وكانت من أبرز كاتبات الروايات فى عصرها . وروايتها « روبرت إلزمير Robert Elsmere » التى نشرت فى سنة ١٨٨٨، قد نالت الشهرة فى كل أنحاء أوربا وأمريكا .

وفى قصة «التاريخ الهزلى لرتشارد جرينو»، وهى من القصص الأولى لألدوس هكسلى، إشارة إلى تلك الرواية المشهورة التى كتبتها خالته، إذ يوصف البطل بأنه «قد قرأ المجلدات الثلاثة لرواية روبرت إلزمير وابتلعها ابتلاعا وهو بعد فى الثامنة من عمره». وقد استمرت المسز همفرى وارد تكتب سنوات كثيرات، وظهرت روايتها الأخيرة فى سنة ١٩٢٠، وهى السنة التى توفيت فيها. وكان زوجها الناقد هو الذى خوّل ألدوس هكسلى فرصة نشر مقالاته النقدية الأولى، إذ طبعت فى مجموعة منتخبات شعرية إنكليزية نشرها ت. هـ. وارد فى سنة ١٩١٨.

هكذا ورث ألدوس هكسلى العلم من أسرة والده والأدب من أسرة والدته، فليس عجيبا أن يصير أديبا، ولا أن تتجلى الروح العلمية فى أدبه بصور شتى. بل إنه حين كان صبيا أراد أن يتخذ العلم مهنته، مثل أخيه الأكبر جوليان، العالم البيولوجى العظيم، ولكن عينيه أصيبتا بمرض حال بينه وبين عمله العلمى ثلاث سنوات. وتلك السنوات الثلاث أكسبته هذه النظرة المستقلة إلى الحياة التى تلاحظ فى الكثير من كتاباته.

تعلم ألدوس هكسلى فى إيتون، ثم ذهب كأبيه إلى كلية باليول بأكسفورد. وقد أحب كلا المعهدين. فهو يقول: «إن ذهنى من النوع الذى يحب التدريب المدرسى ويقبله قبولا تاما. فأنا ثقافى بولادتى، ذو ميل إلى الأفكار وصدوف عن النشاط العملى، ولذلك شعرت بالراحة والاطمئنان فى الظلال المدرسية». وقد أحب أكسفورد حبا خاصا إذ تركت له هناك حريته الكاملة فى أن يعمل كما يشاء، وكان معنى ذلك أنه أقبل على قراءة كل شىء، وفضل ذلك على مجرد تدوين الملحوظات أثناء سماع المحاضرات. فهو يقول «أما أنا فانى لم أستمع قط إلى أكثر من محاضرتين فى الأسبوع».

أما فى البيت فقد نشىء على حب شعر وردزورث وفلسفته، وآراء رسكن فى الجمال والفن. يقول ألدوس: «لما تقوضت أركان الكثير



صورة ألدوس هكسلى .

من العقائد الدينية المتزمتة، صار كثير من الأسرات الذكية ذات الفكر المتسامح يعتبر شعر وردزورث إنجيل ذلك النوع من الحلولية، ذلك الاعتقاد المبهم بوجود عالم روحى، الذى ملأ — إلى حد غير كاف — الفراغ الذى كانت تشغله العقائد القديمة . وحين كنا أطفالا ربينا على

التقليد الوردزورثى، وغرس فى قلوبنا الاعتقاد بأن جولة بين التلال يوم الأحد تعادل بكيفية ما الذهاب إلى الكنيسة . »

ومن قصتى هكسلى الأوليين، المليئتين بالتهكم والهزل، Limbo سنة ١٩٢٠، و Mortal Coils سنة ١٩٢٢، ومن روايته الأولى Chrome Yellow سنة ١٩٢١، يتبين رد الفعل الذى قابل به جو الوقار الأخلاقى الرفيع الذى فيه نشأ . ففى شبابه كان بطبيعته الذهنية حذرا، متشككا، غير ميال إلى الغلو الأخلاقى . ولكنه تحت ظاهره المتهكم الساخر قد احتفظ دائما بعنصر جاد لا يقل وقارا ورصانة عن ماثيو آرنولد نفسه . وقد أخبرنى مرة قائلا : «فى قصصى المبكرة كنت أيضا أرد على الناحية المتزمتة المتفيهقة من نفسى» .

وكانت أهم المؤثرات فى تطور أسلوبه المبكر كتابات الأدباء الفرنسيين فى آخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين، وخاصة رمبود، ولافورج وأناتول فرانس . وقد أخبرنى فى سنة ١٩٣٠ قائلا : «أظن أن لافورج ذو شأن للمراهق، ولكنى حين قرأته من وقت قريب لم أشعر له باعجاب زائد . وأناتول فرانس . . . لقد كنت فى وقت ما أظن أن تهكمه هو قمة الذكاء والبراعة . » وقد مال أيضا إلى كتابات ريمى دى جومون، وخاصة بسبب اهتمام ريمى بالتاريخ الطبيعى، وهو اهتمام ما انفك هكسلى يبديه، وخاصة فى كتابه Point Counter Point (سنة ١٩٢٨) .

وفى أكسفورد نظم هكسلى قدرا كبيرا من الشعر، وهو دون كتاباته النثرية أهمية، ولكنه مع ذلك هام إذ يلقى ضوءا على مزاجه . لأنه يتجلى فيه شعور عاطفى خيالى ميال إلى المثل العليا، منهمك فى الصراع بين العاطفة والعقل، ذلك الصراع الذى هو السبب فى انقسام النفس، والذى تطور فيما بعد فى كتابيه Point Counter Point و Brave New World (سنة ١٩٣٢) . والقصائد المبكرة تنم أيضا عن رجل حيى عزوف عن الاختلاط بغيره من الرجال والنساء، يفرح إذ ينجو من حقائق الصراع الانسانى إلى عزلة عالم الأفكار المبهمة . وأبحاثه الحاضرة

فى التصوف والفلسفة الدينية تمثل عودة إلى تفضيله المتأصل هذا الناحية الباطنة، هذا التفضيل الذى ظل كمينا زمنا ما إذا حكمنا بكتاباته اللاأدرية التى نشرها فى العقد الثالث من القرن العشرين، وهو الزمن الذى تصادف أن كان زمن مادية وكآبية عامة فى إنكلترة.

وقد ظل هكسلى عدة سنوات تحت التأثير الشخصى الشديد للروائى د. ه. لورنس، مؤلف Sons and Lovers وغيرها من الروايات الفذة. وقد تقابلا أول مرة فى سنة ١٩١٥، ولكنهما لم يكثرا من رؤية أحدهما الآخر حتى السنوات من ١٩٢٦ إلى سنة وفاة لورنس. وقد كتب هكسلى فى سنة ١٩٢٧ قائلا : « إن لورنس من الأفراد القلائل الذين أشعر نحوهم بتقدير و إعجاب حقيقى. فالأشخاص البارزون الآخرون الذين قابلتهم أشعر بأننى على أية حال أنتمى إلى نفس الجنس الذى ينتمون إليه. أما هذا الرجل فان به شيئا مختلفا، وهو شىء أسمى فى النوع لا فى القدر. »

وفى سنة ١٩١٩ تزوج هكسلى بماريا نايز، وهى بلجيكية؛ وله ابن واحد. وقد قضى قسما كبيرا من حياته خارج إنكلترة؛ عاش فى فرنسا وإيطاليا وقام بأسفار واسعة فى الهند وبورما (التى كتب عنها وصفا ممتعا فى Jesting Pilate سنة ١٩٢٦)، وفى المكسيك وغواتمالا وهندوراس وجزائر الهند الغربية (اقرأ كتابه Beyond the Mexique Bay سنة ١٩٣٤). وهو منذ قبيل الحرب التى وضعت اليوم اوزارها يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة فى كليفورنيا.

وهكسلى فى مظهره إنكليزى صميم، فهو طويل القامة رمادى العين، وشعره الكثيف مرتب إلى الوراء من الجبهة. وهو ذو أدب جذاب ساحر. والمرء فى حضرته يلاحظ أولا صوته الجميل ويديه الطويلتين اللينتين، وهو مشغوف بعقدهما حول ركبته حين يجلس ويتحدث. وبين آن وآخر يكتسى فمه بابتسامة هادئة تهكمية، ولكنها فى العادة ذات مسحة حزينة.

شعراء الانكليز المعاصرون :

أسرة سيتول - ٣

بقلم الآنسة بيرل دى زوت

تمتاز أحدث الكتب التى سطرها قلم أزبرت سيتول (Osbert Sitwell) — وهى كتاب فى الأسفار اسمه «اهرب معى»، وكتاب يشتمل على مقالات يدعى «غن عاليا، غن خافتا»، وكتاب يحتوى على قصص قصيرة عنوانه «افتح الباب» — تمتاز كلها بأنها فائقة بما فيها من عظيم الفطنة، والظرف، والوجدان، والخيال الشعرى. وقصة «الحباحب» قصة هزلية بارعة تصف صحافيا جمع ثروته فى أثناء الحرب باستغلاله فكرة «الطيبة البحتة والتعلق بالبيت». وكان من نصيبه أن يقوم ببيان أن الديانة يمكن أن تكون متعة، وأن الخلود يمكن أن يكون مربحا. وتتألق فضيلة هذا البطل فى صورة هالة تحيط به وتكون زوجته آخر من يراها من الناس؛ وتسبب له هذه الزوجة ولدهماء الناس مضايقة شديدة فى أثناء الغارات الجوية الخاطفة. ولا بد أن نضيف إلى ذلك أن تلك الهالة انقشعت وتبددت عندما وضعت الحرب أوزارها، واختفت المقاييس التى كانت تقاس بها الأمور فى أيام الحرب.

و«وفاة إلاه» هى من بين جميع القصص القصيرة التى كتبها أزبرت سيتول أعلاها شاعرية، وهذا الاله، هو ساعاتى ريفى، اسمه مستر سنوبرى (Snowberry)، ظل مدة خمسين سنة يحرك ويضبط حياة من فى تلك البيوت الريفية التى تقع فى دائرة مركزها البيت الريفى الذى للمؤلف فى مقاطعة دربيشير. «ولدى إمرته تتحرك ساعات لا يحصى عديدها، مرسلة دقاتها أو مرددة صداها، فى نغمات إيقاعية أو شبيهة بنقيق الضفادع، على تلك الزاوية الصغيرة التى تلتقى فيها مقاطعات دربيشير، ونوتينغهام، ويوركشير، ولنكولنشير... وجميع

آلات الزمن هذه» (ذات الطرز المتباينة والقرون المتباعدة) «كانت ما تزال تدق، ربما، فى العهود التى تشاكلها، منظمة فى فلك آخر حركات التميثيلات التى عاصرتها فى عهودها السابقة» ثم كشف القناع عن السر عندما ذهب المؤلف لتناول الشاى عند مستر سنوبرى فوجد «أن أم الساعات التى كان يعتمد عليها هو، كما كانت تعتمد عليها دنيانا بأسرها، لم تكن سوى منبه، سوى ساعة عادية من معدن خسيس، منبه توقظه رناته فى كل صباح !» وقد لقى مستر سنوبرى حتفه فى خلال الأيام الأولى «للحرب العظمى» الأولى، مرجوما بحجر طائش كانت قذفت به فتاتان ريفيتان صغيرتان كانتا تعذبان بقسوة كبشا مربوطا. «فهناك وراء البحر،[1] كما هو الحال هنا، كانت تتكشف الوحشية الفطرية التى فى الدنيا، ومضت عدة أيام قبل أن يعرف العالم الصغير الذى كان مستر سنوبرى إلاهه ما حدث لذلك الاله . . . وقد كتبت لى أختى تقول : يخيل إلى أن التميثيلات (التى على الساعات) قد انهدت كذلك بفناء الكائن الذى كان ينظم حياتها . ولم يعرف أحد ما كان حادثا فى العالم الخارجى؛ ولم يعرف أحد من سكان هذه المنازل الوقت المضبوط الذى يخرج فيه للتمشى، أو يتناول فيه الطعام، أو يأوى فيه إلى الفراش . لقد كان كل شىء فى طريق الانحلال . وفى خلوة القسيس، فى أعالى البرارى، خرس الصوت المعدنى للسان المنبه، الذى كأنه الساعة المركزية للعالم، وبقى صامتا فارغا» .

وتنتمى هذه القصة فى نوعها إلى سلسلة طلية من القصائد المصورة لشخصيات الخدم الذين فى ضيعة أسرة سير أزبرت . وهى مكتوبة بقدر عظيم من الشاعرية النفاذة والألمعية، وفيها من الخيال النفاذ إلى تصوير الحياة الريفية بما تشتمل عليه من حيوان ونبات و إنسان، ما يتجلى فى بواكير قصائد الآنسة سيتول . فقد نجح المؤلف فى إدماج

[1] يشير الكاتب طبعا إلى القسوة التى كانت تتجلى عنها الحرب الأولى عبر بحر المنش. [المترجم .]

الشخصيات التى يعالجها بالبيئة التى تحيط بها بحيث تصبحان شيئا واحدا — فالشخصية تنمو من التربة كما لو كانت شجرة أو زهرة .

وقد سبق أن أشرنا إلى قصائده عن الحرب، بما انطوت عليه من ذكريات عن الحرب الأولى ونبوءات عن الحرب الحديثة . وله قصيدة أوسع من تلك مدى وأمر تيقظا وانتباها من الغفلة بصدد المصير السياسى للعالم، وهى «ديموس، العاهل»، ولم يطبع منها بعد إلا فصلان اثنان . ونشر هذه القصيدة فى صورة كتاب، ومذكرات أزبرت سيتول عن باكورة حياته، من الحوادث الأدبية الجليلة المترقبة . وما هى بأدبية فقط . فليس من الممكن عزل حياة الكاتب عن رسائله . وليست الرسائل لعبة إلا إذا كان ينبغى أن تكون السياسيات لعبة . وكتاب سير أزبرت سيتول «رسائل لولدى» القائمة على تفكير دقيق وشعور عميق، والتى تعالج الموضوعات الحاضرة والآمال المستقبلة للفن، نداء إلى العمل موجه إلى جميع الشبان المفكرين.

أما ساشڤرل سيتول (Sacheverell Sitwell) ، أصغر هذه الحلبة، فانه منذ ظهور أول ديوان شعرى له، منذ اثنتين وعشرين سنة، يبدو لى دائما أحد أولئك المخلوقات الممتازة بمواهب خارقة للعادة من بين جميع من دب على هذه الأرض؛ ولا شك أن إنتاجه الفنى من حيث هو شاعر يعد بين أسمى ما أخرجته الأقلام فى خلال المائة والخمسين سنة الماضية . وسنقتبس بصدد هذه النقطة رأى الناقد الذى فهمه وقدره أكثر مما فعل أى ناقد آخر : «إن صنعته فى الحروف اللينة (الحركات)، وشعوره بما يمكن أن تستخدم فيه الموجات المختلفة، وبما فى الحروف اللينة من تغير وتنقل . . . إن ما لنظمه من تدفق وازدهار وتنوع، إن مقدرته على التصدير [1] والفترات الطبيعية ومعرفته بما لها من أثر على النظم — كل

(١) وضعنا هذه الكلمة لنوع من المحسنات البديعية اللفظية فى الانكليزية، وهو بدء الكلمات المتتابعة بحرف واحد، كأن تقول مثلا : بسطة بره بين بنى بلاده بوأته منزلة ملاذ المعوزين . [المترجم .]

ذلك لا يفوقه فيه شاعر. والحق أن مقدرته على التصرف فى نسج الشعر قد بلغت مبلغا لا يمكنه فقط من استحداث مغايرات فى الارتفاع، والعمق، والطول، والبطء، والسرعة، بهذه الوسيلة، بل إنه ليخيل إلينا أن النسج هو الهواء الذى نتنفسه، بكل ما فيه من مغايرات دقيقة من دفء وبرودة، متنقلا حولنا أحيانا، أو متلاشيا . . . وآونة يكون له دلالة مظلمة رهيبة، أو طنين المعادن. إن له إدراكا تاما لأصوات الرخام، والحجر، والمعادن المختلفة. وفى قصائده يتحول الضوء، والهواء، واللون، والعرف، والظل، وكل ما فيها من مغايرات دقيقة عميقة، إلى أصوات؛ فالدنيا لا تلحن تلحينا موسيقيا، وإنما تصبح موسيقى، والرياح، والهواء، والأنوار تهب فى الألفاظ وفوقها وحولها. إن الجمال الحسى الخارق الذى تتحلى به تخيلاته، والمرامى الروحية التى ترمى إليها القصيدة، هما وجرس القصيدة لا ينفصلان، فهما مولودان معا كما لو كانا جسدا وروحا».
وهذا الاطراء جليل، ولكنه ليس أجل مما يستحق. وإنما يدل على أن الانتاج الفنى لهذا الشاعر مكافىء لقواه النادرة فى نموها وإدراكها وتدبرها، ولخياله الفسيح المدى. ومثل هذا المخلوق يكون مستقلا عن التأثر بغيره، غير أن من الشائق أن ننظر فى تلك المؤثرات التى سجلها هو نفسه. فقد تحدث عن ملاقاته الأولى لروح مبتكرة عظيمة، فى شخص أخته، وكيف أن «ألمعيات» ريمبو (Rimbaud) التى بعثت له بها أخته وهو فى كلية إيتون (Eton)، مغيرة بذلك على النظام التعليمى فى مدرسة عامة، كانت بمثابة الخميرة فى ذهنه. وقد تحدث كذلك عن الابتهاج الذى شعر به لدى قراءته لأول مرة «سالامبو» (Salammbo) لفلوبير (Flaubert)، وقد أوقعته المصادفة الغريبة فى ترجمة إنكليزية لذلك الكتاب فى مكتب بريد القرية،[1] وهو ابن ست عشرة سنة؛ كما

[1] فى إنكلترة، تشتغل مكاتب البريد المحلية، فى القرى وضواحى المدن الكبيرة، بالاتجار فى سلع متنوعة كالكتب والأدوات الدراسية وما إليها، بجانب عملها الرسمى فى الخدمة البريدية. [المترجم.]

ذكر ما استمده من الالهام من قصيدة دانزيو (D'Annunzio) وروايته «النار» (Il Fuoco)؛ وما خلفته فيه من الآثار، وهو فى السابعة عشرة، خيالات الشاعر الايطالى الاستقبالى[1] مارينتى (Marinetti)، وكذلك ما تأثر به من شعراء العصر الاليزابيثى. وجميع هذه المؤثرات — وليس أقلها أخوه أزبرت الذى يقول عنه ساشفرل إنه «أعظم الرفقاء الروحيين» — كانت لها من غير شك أهمية كبيرة فى إيقاظ عبقريته، ولكن مجال قصائده وأسلوبها، كمجال نثره وأسلوبه، كان من ابتكاره هو منذ أول عهده بالكتابة. ودواوين شعره الستة: «مائة مهرج ومهرج»، و«القيصر الثالث عشر»، و«حى الورد الجبلى»، و«وليمة شراب التفاح»، و«أصول الفن الكبير»، و«الدكتور دن والسرواط»[2] — كل هذه الدواوين تعد من أسمى ما كتب باللغة الانكليزية. ولا بد لنا من الاشارة مرة اخرى إلى الفصل الذى كتبه عن حياته الأدبية، والذى نشر سنة ١٩٤٠، أى بعد نشر آخر ديوان شعرى له بسبعة أعوام. يقول عن صناعة الشعر: «إذا كانت نشوة فكل شىء يتصل بها يشتعل بضوء أو لمعان شديد. وأنا أستطيع أن أستشهد على هذا من تجاربى، إذ أننى نظمت قدرا من الشعر لعل ما قوبل به كان أقل مما يستأهل بعض الشىء، بسبب خلوه من عنصر الدعاية السياسية. وسيبرهن ذلك

(١) مذهب نشأ فى إيطاليا فى القرن العشرين، وهو يرمى إلى عرض الطبيعة لا فى صورة ساكنة بل متحركة نشيطة كما لو كانت صورا متحركة، فاذا أريد رسم ذراع رسمت عدة أذرعة فى صور متوالية بدلا من رسم ذراع واحد؛ وسمى المذهب «استقباليا» (Futurism) مراعاة للشباب والمستقبل بمقابلة الماضى والقديم. [المترجم.]

(٢) السرواط هو النهم الأكول، وقد وضعنا هذه الكلمة ترجمة للفظ الذى يستعمله الشاعر وهو (Gargantua) وهو اسم لبطل خلقه رابليه، موصوف بشدة نهمه. [المترجم.]

المجلد، ويبلغ ٦٠٠ صفحة، على أننى لم أدع مصدر الالهام ومنبعه يتلاشى كالعادة، وإنما تعلمت كيف أستنهض نموه الطبيعى، حتى استطعت، بفضل حصر الذهن وطول التدرب، أن أبقى مددا طويلة فى تلك الأجواء العالية، متغذيا بالخمر والعسل. وما هو إلا قصير زمن حتى كنت إلى حد كبير أعيش فى دنيا أنا الذى كشفت عنها». ثم ينتقل إلى الحديث عن أول كتاب نثرى له، «الذوق البديعى الجنوبى» وكيف أنه كتب وألف فيما هو بمثابة نفحة إلهامية واحدة: «إن أول نسخة منه، كما كانت، دون تعديل، هى التى نشرت، وما أظن أن مثل ذلك كان يتأتى لكاتب حدث، لو لم يكن قد أخذ نفسه بمثل ما أخذت به نفسى من التدرب على قرض الشعر... فقد اجترأت أن أبدأ باكورة كتاباتى بأصعب مسالك الانشاء وأدقها. وكنت قد اكتسبت هذه الثقة من التجارب الخارقة التى كنت قد اجتزتها فى قرض الشعر. وهذه النواحى من الشجاعة هى التى لا مفر منها لمن شاء أن يحقق ما هو نادر ورفيع المنزلة. تلك هى المباهج التى لا تطرأ على الكاتب فى حياته الأدبية إلا نادرا، عندما تتوالى على ذهنه الصور العقلية كما لو كانت تتولد من سن القلم وهو يكتب. بل إن القلم فى بعض الأحيان يكون أبطأ من أن يلاحقها تسجيلا... إن ما يعتور الذهن من بهجة النشاط والنشوة لشعور تعجز الألفاظ عن وصفه. إنه عمل يتحد فيه الايجاد والخلق بالسرعة... فليس هناك ساعتئذ موضوع أوسع من أن يعالج، ولا نقطة تفصيلية أصغر من أن تعيها الذاكرة. ويمكن أن يدوم هذا الشعور أياما متواصلة. ومن حظى بذلك الشعور فقد حظى بأوفى قسط من السعادة يمكن أن ينعم به شاعر أو كاتب من وراء عمله».

وهذه الفقرة، وهى فى الدرجة القصوى من الأهمية باعتبارها اعتراف شاعر، تزداد أهمية عندما نتدبر طبيعة الكتاب وعمر الكاتب. ولا بد أن يكون كتاب «الذوق البديعى الجنوبى» قد كتب حينما كان

عمر مؤلفه نحو ثلاثة وعشرين سنة . وموضوعه — فن الذوق البديعى[1] — كان فى ذلك الوقت متجنبا فى إنكلترة على أساس أن الذوق السليم ينفر منه،[2] فكان الكتاب بذلك مغامرة فى البحث كما كان فى الأسلوب الانشائى . وكانت نتيجته صورة عظمى لعهد عادت لنا فيه إلى الحياة مناظر الأرض، والمخلوقات البشرية، والفنون، بشكل ممتاز فى وضوحه، كما لو كانت شيئا نحس به إحساسا فعليا . وهنا نقابل لأول مرة، فى عدة فقرات من النداء الملهم الذى يعلو به صوت فن المغنى ، ذلك التفانى العميق للموسيقى وهو تفان يتخلل جميع كتابات ساشفرل سيتول ؛ فليس ثمة شك فى أن شعورا موسيقيا عميقا هو الأساس فى مقدرته الممتازة فى النظم والنغم، سواء أكان ذلك فى الشعر أم فى النثر . ولقد صدق إذ سمى نفسه «عبدالموسيقى»، ودراساته التفصيلية الكثيرة للمصنفات الموسيقية، والعدد الذى كتبه من سير المصنفين الموسيقيين، تمتاز بصفة فريدة هى التعلم الذى يكتسب من البشر والابتهاج . . . ومن أروع عباراته التى خطها فى كل ما أخرج من كتب عبارات يصف فيها عزفا موسيقيا، أو آلات موسيقية نظرية ساذجة أو متحضرة راقية، أو يحلل فيها تأليفا موسيقيا . والتمثل بالموسيقى لا يبرح ذهنه أبدا . «وهناك أمر لا يمل تكراره، وهو أن الفن بهجة ونشوة . فاذا تضاءل الابتهاج به فقد انفصمت عرى الصلة التى بين المرء والفن . هو نوبة دينية، نشوة

(١) هذا الفن يرمى إلى المبالغة فى المحسنات والحلية والزينة فى الفنون بصفة عامة، من هندسة العمارة، والأثاث، إلى الأسلوب الأدبى . ويطلق عليه الانكليز اسم (Baroque) وترجعه بعض المعاجم الانكليزية إلى اللفظ العربى «بارق» . [المترجم .]

(٢) هذا الكتاب، وقد طبع الآن عدة طبعات، كانت نسخته المخطوطة تعرض على الناشرين واحدا بعد آخر رجاء العثور على من يقبل طبعة، حتى عثر على ناشر كانت فيه الجرأة الكافية لنشره .

شعرية، سكرة موسيقية، و إلا فانه قد أخفق . . . وعند ما تلعب الموسيقى ينبغى أن يكون التحرك مستحيلا . وفى خرافات الهندوس أن صوت مزمار كرشنا كان يرسل موسيقاه إلى جميع مخلوقات الأرض فتحس بها فى مسام أبدانها . وأن جميع آلات الموسيقى لعبت من تلقاء نفسها . فأنصتت إليها وحوش الغاب، مفتونة، عاجزة عن الحركة، مصيخة منتبهة بعيون مغمضة، وأن أخرى كانت عديمة الحركة باكية . مثل هذا الأثر للموسيقى كان فى العصور العتيقة يعتبر مقدسا . كان غيبوبة، غيبوبة مقدسة . »

وحب ساشڤرال سيتول لحياة «الغجر»، بل ما يكاد يكون وجدا وهياما بها، يتردد صداه فى جميع كتبه، ويظهر أنه يمثل ثورته النفسية على العالم الآلى الذى نعيش فيه الآن . وهذا منفذ آخر للتعبير عن ذلك الحنين الذى يجتذبه إلى عهد طفولته وشبابه وما كان يحيط بهما من شاعرية متغلغلة . وكتاب « كل الصيف فى يوم » هو أقوى هذه الدلائل إثارة للنفس، ولا شك أنه أحد كتبه الكاملة الاتقان . وقد قام ساشفرل، كأخيه، برحلات كثيرة وصفها وصفا بديعا . ولكن أهم شيء هو ثمرات رحلاته الخيالية التى ألهمته إياها الكتب، والتأمل فى منتجات الفنون — ثمرات أدبية ذات مذاق مختلط فتان، يرسل فى مشاعر القارئ ما يشبه النشوة . وكما أن الممثل القدير أو الراقص البارع يتملكه الدور الذى يلعبه ويستولى عليه، كذلك ساشفرل سيتول تستولى عليه الكائنات والمناظر التى تتلمس الخروج إلى الحياة من نفثات قلمه، وليس ذلك مقصورا على قصائده، بل يتناول مجلداته الأربعة فى نثره الكشكول، «تسلية الخيال»، وهى أهم كتبه الانشائية فى خلال عشر السنوات الماضية . وهذه هى «رقص الأحياء والموتى» (١٩٣٦)، و«الحب المقدس والمدنس» (١٩٤٠)، و«مناظر وأعياد ساذجة» (١٩٤٢)، و«أفراح وأتراح» (١٩٤٣)؛ وتخيم سحب الحرب على هذه الكتب تخييما ذا دلالة . ويصح أن نعتبر أن العبارة الآتية «ليس هناك حرية إلا حرية

العقل » هى موضوع هذه الكشاكيل الشعرية التى تمتزج فيها امتزاجا سحريا المادة وما وراء المادة، والشعور والعقل الباطن، والتقابل النادر بين صور الخيال والتفكير، وبين النظر والصوت. ويتنقل بنا المؤلف - وقد تجمعت فيه صفات الشاعر، وعالم التاريخ الطبيعى، والعالم بالأجناس البشرية - آونة بين مناظر الرعى، وطورا بين بقاع مظلمة رهيبة، مصورا تصويرا خياليا بالغ الدقة، جمال محارة، أو زهرة، أو طائر، أو سمكة، وجميع عجائب الخليقة، موقظا ما تتدفق به الغرائز من العبقرية الموسيقية الساذجة، أو محللا أعمق ما ألفه باخ من الموسيقى، متأملا - فى إشفاق فزع - الصورة التى يرسمها هيرونيموس بوش (Hieronymus Bosch) للمطهر،[1] أو أى مظهر من مظاهر القسوة الدينية أو الاجتماعية التى تلوث الرجل المتمدن، كحكم الكنيسة باحراق ملحد فى غوا (God)، أو نظام العقوبات الجنائية عندنا فى مستعمرات المجرمين أو فى السجون. والأسلوب من ابتكاره، من أوله إلى آخره؛ وكذلك علاجه للموضوع، علاج جامع فى آن واحد للاعتماد على الوثائق التاريخية اعتمادا علميا، وللقوة الخيالية، وسواء أكان مرحا طروبا أم بشعا عبوسا، فانه قائم فى الحالتين على خيال شعرى من الدرجة الأولى. ولقد تصل سرعة إدراكه وحساسيته فى بعض الأحيان درجة من الشدة تكاد تكون مؤلمة، وهو لا يجد لنفسه منها خلاصا قط فى السخرية أو الضحك. فهو يقول فى أحد هذه الكتب : «إن اشتغالى بخلق عالم شخصى على وفق رغبتى واختيارى قد استغرق جميع جهودى منذ بلغت السن التى أعرف فيها وجهتى» . أما الوجهة النهائية التى ستتجه إليها هذه العبقرية العظيمة التى لم تتحقق بعد، فأمر يستحيل التكهن به .

(١) المطهر (Purgatory)، بناء على رأى الكنيسة الكاثوليكية، هو مكان أو حالة نفسيه تبقى فيها الروح بعد الموت حتى تتطهر من آثامها الصغيرة باحتمالها بعض أنواع العذاب . [المترجم .]

جمع الأثاث الإنجليزي القديم

ملاحظات للمبتدئ

بقلم ر . و . سمندس

كان فى مزاد علنى حديث عدد كبير من قطع «الأثاث التشپنديلى»،(١) وكان كثير منها ذا نحت فائق الزخرفة، قاتم اللون، تتبين منه قليلا عروق أو صور للون المغنة (الماهوغنى)، وقد طلى سطحه بطلاء ويرندج عصرى . وليتصور القارىء الفرق بين حجرة أثثت بهذا الأثاث وحجرة

(١) نسبة إلى تومس تشپنديل "Chippendale" (المتوفى سنة ١٧٧٩) وكان مشهورا بصناعة الأثاث وتصميمه . [المترجم .]

ع ممتازة من الأثاث الانكليزى القديم . (إلى اليمين) خزانة أدوات ئدة و(إلى اليسار) دولاب المشروبات .





فرشت بأثاث الكاپتن غلبى[1] "Gilbey" البسيط الذى توضحه الصور التى هنا . وفى الملاحظات الآتية بيان للفرق بين هذين الطرازين .

ومن الضرورى لادراك موضع المزية الحقيقية فى الأثاث القديم وتقديرها العلم بأمور خاصة تندرج تحت عنوانات ثلاثة عامة : التصميم، والمواد، والانشاء . وكل من هذه الأمور الثلاثة ينقسم إلى فروع أخرى؛ فمثلا فى التصميم عدة خصائص، كوظيفته أو وثارته فى الاستعمال؛ والتناسب، وينبغى أن تكون الوظيفة أساسا له؛ وجمال الخطوط، وهو ما يشبع فى المرء حاسة الجمال؛ وحسن استخدام الزخرفة — فلا بد من النظر فى كل هذه العوامل لدى الحكم فى أن قطعة من الأثاث ذات تصميم حسن أو ردىء .

كذلك يجب فى تقدير الأثاث أن ينظر إلى القطعة منه فى ضوء العهد الذى صنعت فيه . فموائد الطعام فى العصر الاليزابيثى مثلا كانت عالية علوا أكثر من اللازم، ومثل تلك الموائد تبدو اليوم غريبة الشكل بسبب ارتفاعها؛ وبمثل ذلك لو أن رجلا فى العصر الاليزابيثى وجد مائدته قليلة العلو على مثال ما نستخدمه اليوم لبدت له غريبة الشكل وغير مريحة حقا . ثم هناك الأثاث المصنوع خاصة ليلائم شخصا ذا حجم شاذ، أو ليؤدى غرضا خاصا، كصوان لنموذج من نوع خاص — كل أولئك يكون قبيح الشكل فى العادة، كما يبدو للعين سىء التناسب .

ومن أمثلة الانسجام فى التصميم مائدة الفطور . وبين سنتى ١٧٩٠ و١٨٢٥ صنعت آلاف من ذلك الطراز لموائد الفطور الصغيرة، ذات العمود الفردى . وبعضها كان من صنع نجارين فى مصانع سيئة الاستعداد فى بلدان صغيرة؛ وصنع عدد أكبر فى بلدان كبيرة فى الأقاليم على يد نجارين كانت لهم مصانع كاملة العدة؛ على حين أن عددا كبيرا منها صنع فى لندن مصدر الأثاث الفاخر على الدوام . فالنجار اللندنى الذى

[1] انظر الفقرة الأخيرة من هذا المقال . [المترجم .]

كان من الطراز الأول كان يستعمل نوعا فاخرا من خشب الكابلى (المغنة) فى صناعة الموائد التى من هذا النوع (ويلاحظ ذلك فى أشكال القرصة)، وكان يزخرف حرف القرصة بعدة أحزمة مرصعة من الخشب الفاخر، كما أنه كان عادة — و إن لم يكن دائما — يشكل القائمة الرباعية تشكيلا أبهى من تشكيل نجار الأقاليم . ولا يتأتى تدريب العين على تمييز التصميم الأنيق لمائدة مصنوعة فى لندن، من التصميم الجافى لمائدة مصنوعة فى الأقاليم، بالفحص عن مائدة واحدة من هذه الموائد بل خمسين مائدة — فان معرفة فن صناع الأثاث القديم لا تكتسب بدون تلمذة طويلة .

ومن الممكن كتابة مجلدات، بل كتبت مجلدات، عن الزخرفة؛ ولكن جملة واحدة تكفى فى إخبار القارئ عن القدر الصواب الذى يجب أن تقوم به الزخرفة فى الأثاث — وهى أن الزخرفة إنما تضيف إلى بهاء التصميم، والتصميم الجيد يمكن أن يستغنى عنها، بل هو كثيرا ما يستغنى عنها . فمن الناس من لا يستمتعون بالأثاث إلا إذا كان مبالغا فى نحته، أو ترصيعه، أو زخرفته، بنوع ما من الزركشة . وقد قال لى مرة تاجر مشهور، قد توفى بعد : «لا يبدو أن للأثاث قيمة ما إلا إذا كان فيه نحت» . وهذه إحدى الأمور الأولى التى يجب على المبتدئ أن يتحاشى الوقوع فيها فيما يتعلق بالتصميم، وهى أن النحت، لمجرد أنه نحت، يكون ذا قيمة . فالكرسى الذى له هيكل منحوت نحتا جميلا أنيقا يكون أغلى قيمة من نفس الكرسى إذا كان إطاره أملس تماما؛ لأن الأول أكثر ثروة وجمالا، وكأنما الزخرفة النحتية التى تنطبق على الأصول قد أنطقت جماله وأرسلت أشعة من الضياء على شكل الاطار وما له من وظائف . على أن كرسيا ذا إطار تام الملاسة ولكنه دقيق التناسق يكون أغلى قيمة من كرسى مثقل بالنحت والزخارف الباهظة العديمة الذوق . إن قيمة الزخرفة إنما هى فى اختيار ملاءمتها ودقتها، فان هى لم تنجح فى تحقيق هذا شوهت بناء الأثاث مهما تكن جودة تصميمه .



مكتب ذو لوح متحرك .

وهناك اليوم عدد متزايد من الجامعين والتجار الذين لهم من حسن التقدير لتصميم الأثاث، أكثر جدا مما كان فى الماضى . والواقع أن كثيرا من المجموعات التى جمعت قبل عشرين سنة أو أكثر تصفى إلى قطعة واحدة (إن يكن ذلك) إذا هى أخضعت لمقاييس الفحص التى يطبقها الجامع العصرى قبل أن يعلن رأيه بأن قطعة من الأثاث تعد مقبولة . وهذه الوجهة الحديثة فى النظر إلى الأثاث تنطبق على المائدة ذات القاعدة الثلاثية الأرجل، والتى قيمتها تساوى سبعمائة جنيه، كما تنطبق على صوان الأدراج المقوس الصدر، إذا كان هذا الأخير من نفس النوع الذى توضح هذه الصور نماذجه .

ويندرج تحت موضوع « المواد » قدر شاسع يجب الالمام به ولكن من المستحيل التعرض له فى هذه المقالة . على أننا سنذكر فيما يلى ملخصا وجيزا نصف فيه للمبتدىء كيف ينبغى له أن يفحص عن أنواع خشب الأثاث وخصائصها . وسيكون فى استطاعته أن يضيف إلى هذا الموجز التمهيدى ما سيحصل عليه من المعلومات نتيجة لملاحظاته الشخصية .

وليلاحظ أولا أن الخشب لا تنحصر قيمته فى اتخاذه مادة لانشاء الأثاث عندما يستعمل فى قطع صماء، بل له كذلك خصائص زخرفية بفضل تخطيط التعرقات وتشكيلها، ولكى يتأتى عرض هذه الزخارف إلى أفضل درجة يلجأ إلى التطعيم بالقشرة الخشبية . وكان الخشب الذى يحتوى على أشكال أنيقة غالى الثمن فى أواخر القرن السابع عشر والقرن

الثامن عشر، ومن أجل ذلك كان صناع الأثاث يستخدمونه بقلة. وهذا هو السبب فى أن كثيرا من الأثاث المصنوع من شجر الجوز والكابلى مطعم بقشرة ذات أشكال رديئة. ومن ثم كان من الأمور الجوهرية لدى الفصل فى نوع قطعة من الأثاث أن ينظر الباحث إلى القشرة، عندئذ يدهشه مبلغ الاختلاف الذى بين الخشبين الشائعين، الجوز والكابلى — ففى الأول تتدرج من الخشب الأملس (السادة) المستقيم الذى لا تكاد تجد موجة فى عروقه، إلى الخشب المرقش بسخاء؛ وفى الآخر تجد الأشكال الجلية التى تجتاحه من أوله إلى آخره.

والخشب الذى تصنع منه بطانة الدرج ينبئ عن كثير من النوع الأصلى لقطعة الأثاث. ويرجع ذلك إلى الارتفاع النسبى لأثمان الخشب فى القرن الثامن عشر، مما انعكست صورته فى الطريقة الاقتصادية التى استعمل بها الخشب — فكان يستخدم عن سخاء فى صنع الأثاث الذى لأثرياء الأشراف، على حين كان يستخدم بشح فى صنع الأثاث العادى لبيوت الطبقة الوسطى. وبطانة الأدراج، لأفخر الأثاث المصنوع من الجوز والكابلى، مصنوعة من خشب البلوط بسمك الربع؛ والأدراج الصغيرة للتسريحات والمكاتب مصنوعة من الجوز القرجينى والكابلى على حسب العهد الذى صنعت فيه. والقطع التى من نوع واط كانت تصنع بطانة أدراجها من خشب الشربين، وفى عهد تال كانت تصنع من نوع مغشوش من خشب الأرز، وكذلك كان خشب الدردار والصنوبر يستعمل بكثرة فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر. وفى أثاث الأرياف كان يستخدم خشب الأشجار الوطنية وكان غالبا من شجر البوقيصا (الشوم). وفى كثير من الأحوال كان صناع الأثاث يصنعون جوانب الأدراج من البلوط (إذ أن الجوانب كانت موضع الاحتكاك)، والقاع من شجر رخو أرخص ثمنا، والصدر كان يصنع كذلك من خشب رخو لأنه كان يطعم من الخارج بقشرة ولم يكن موضع ملاحظة كبيرة من الداخل.

ولنتكلم الآن عن الأوصاف العظيمة الأهمية فى الأثاث : وهى اللون، والطلاء، وسطح الخشب . و إعادة طلاء قطعة من الأثاث القديم تفقدها فى كثير من الأحوال أهميتها فى نظر الجامع الحديث . ومن سوء الحظ أن نسبة عالية من الأثاث القديم لا بد أن تكون قد كشطت ثم أعيد طلاؤها فى القرن التاسع عشر، وكان من نتائج هذا العمل غالبا أن الأثاث المصنوع من خشب الجوز أصبح أصفر فاقعا، والمصنوع من الكابلى أصبح لونه أحمر ممغرا . والطريقة الحديثة فى علاج هذا هى كشط ذلك السطح الزجاجى اللمعان ثم إعادة طلائه، لمحاولة إرجاع الأثاث إلى الحالة التى كان يبدو فيها اليوم لو أنه ترك على أصله دون إعادة دهنه فى أى وقت تال لصنعه . وتنجح هذه الوسيلة فى كثير من الأحيان، ولكنها لا يمكن أن ترجع إلى الأثاث ما كان له فى الأصل من اللون الناضج والسطح البرنزى . فليس من الميسور أن يحدث العلاج الصناعى ما هو ثمرة لأجيال متعاقبة من الدهن بشمع العسل ومن تبادل الأيدى . إن الأثاث القديم الأصلى الذى لم يدخله التعديل نادر الوجود، ومحبوب جدا (لأنه يتجلى فيه جمال اللون والأشكال والتعرقات التى فى الخشب)، ومطلوب يبحث عنه، ويحقق من الثمن (إذا كان كاملا فى نواح أخرى) من ثلاثة إلى أربعة أمثال ثمن الأثاث الذى أعيد طلاؤه . وكثير من القطع الموضحة بالصور فى هذه المقالة فيه هذه المزية العظيمة الأهمية . ومتى تحقق تمييز هذه «الحالة الأصلية» فمن غير المحتمل أن تخفى بعد ذلك، و إن كان هناك من طلائى الأثاث من يطمحون إلى تقليدها . فمثل هذا الصقل، إذا فحص عنه فى ضوء الشمس أو ضوء النهار الشديد، تبين فيه أن اللون والطلاء لم يصيرا بمضى الزمن جزءا من الخشب، كما هو الشأن فى الصقل الأصلى، و إنما هما يكونان طبقة سطحية تماما . وعلى العكس من ذلك، يدل الفحص عن السطح الأصلى فى ضوء الشمس (وعليك أن تصر دائما على الفحص فى ضوء النهار لا فى ضوء صناعى) على أصليته دلالة قاطعة .



أعلى : خزانة أدوات المائدة من طراز إنكليزي
قديم بديع الصنع . أسفل : درج للكتابة



وجميع أنواع الخشب تنضج وتتمرس بمرور الزمن عليها — فلون الخشب القوى عندما يكون جديدا ينصل بالتدريج تحت تأثير الضوء والتعرض للهواء متحولا إلى لون أهدأ وأنضج ؛ فالخضبة الخضراء التى فى خشب الجوز الجديد تتحول إلى لون أصدأ ذهبى، فاذا قصرتها (أى بيضتها) الشمس قد تتحول إلى لون عاجى أسمر. واللون الأحمر المغر الذى يعلو الأثاث الجديد المصنوع من الكابلى يتحول إلى لون أصدأ عميق تحت تأثير تعرضه للجو مدة طويلة . وجميع أنواع الخشب ينصل لونها ويتقصر (أى يصبح أقل عمقا) بتأثير الضوء، ويكون الأثر أبلغ إذا تعرض الأثاث للأشعة الباشرة للشمس فتسلطت على سطحه . ثم إن دوام الدهن النزلى للأثاث بشمع العسل، وتناول الأيدى له، يمنح سطح الخشب صقلا عاليا، وهو صقل لا يمكن أن يظهر فيه لدى

اختباره أى أثر لغشاء من الطلاء بينه وبين الخشب. ذلك لأن الطلاء الأصلى، الذى كان زيتا أو شمعا، يكون قد تشربه الخشب منذ زمن طويل فأصبح غير مرئى. ورداءة أثر الطلاء الفرنسى ترجع إلى أن الخشب لا يتشربه كما يتشرب الزيت أو الشمع، وبذلك يبقى فوق السطح فى شكل غشاء زجاجى، ومهما يبلغ دلكه فلن ينصقل الخشب تلك الصقلة الزمنية الطبيعية ولن تلين جودة الطلاء المستحدث.

وعلى المبتدىء الذى يتطلع إلى مرتبة الخبير فى الأثاث أن يتعرف جمال القطعة فى «حالتها الأصلية» — فى تدرجها الطبيعى فى اللون، وفيما اعتورها عرضا من الضوء والظل وما ترتب على ذلك من نصول لون الخشب، وفى نضجها، وفى سطحها البرنزى الشبيه بالزجاج، وفى هبوط الأجزاء البارزة من النحت الزخرفى إلى مستوى الخشب العارى عن الزخرف بتوالى التلميع بالطلاسة المنزلية، وفى ظهر النقوش المنحوتة والفجوات التى بينها حيث يتجمع شمع العسل ويتخلف ويتصلب ثم يصبح بامتزاجه بالغبار أسود اللون، وهذا السواد العميق يساعد على تجلى الأجزاء البهية من النقوش النحتية. وليس بين مقلدى الأثاث — وقد كان هناك بعض المهرة منهم — من استطاع بعد أن يستحدث هذا الأثر بصورة تكفى فى خداع العين الخبيرة؛ وهذا سبب آخر لأهمية تمييز المبتدىء للحالة التى عليها سطح الأثاث.

والعلم بفن إنشاء الأثاث مفيد للجامع لأنه كثيرا ما يكشف له عن الحالة الأصلية للقطعة؛ فان هناك طريقتين فى صنع الأثاث: طريقة غالية وطريقة رخيصة، ومن أكبر العون لدى تقدير قطعة أن نعرف أية الطريقتين اتبعها فيها صانع الأثاث. ولنضرب لذلك مثالا واحدا فقط: فبعض القطع الرخيصة من موائد ورق اللعب وصوانات الأدراج تظهر فيها خطوط فى أقراصها بسبب أن الكتل التى تحت القشرة تتكون من قطع ضيقة من خشب الشربين بدلا من قطعة واحدة عريضة، كما هو المتبع فى الطريقة الغالية. وإذ أن هذه الشقات الضيقة من الخشب

مكسوة بقشرة من ناحية واحدة فقط، كان فيها ميل إلى التقبى، وهذا يحدث فى القشرة خطوطا أو أخاديد .

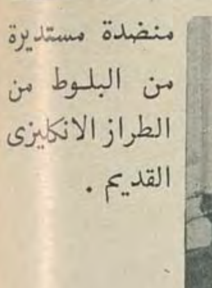
ولنتحدث عن بعض الأثاث الذى توضحه الصور التى تصحب هذه المقالة — فنضد الكتابة نموذج بهج للتصميم الفائق . فالفضاء المعد للكتابة ينشر ويطوى، ويعتمد على ذراعين مديدين كى يخول الكتابة مساحة كبرى، وهو أمر ضرورى نظرا لقلة عمق النضد . ثم هناك صورة قطعة غير مألوفة ذات تصميم وتناسب فائقين : ومن العسير الفصل فى وظيفتها الأصلية، من كونها تسريحة فى حجرة نوم أو خزانة لأدوات الطعام فى حجرة مائدة؛ ويرجح أن تكون الأخيرة، وأن يكون الرف المفتوح فى الوسط موضع آنية الشراب .

وخزانة الركن، بما فيها من القشرة البالغة الزخرفة المتخذة من الكابلى ذى الأشكال، هى من قطع الأثاث فى حجرة المائدة، كما هو الشأن فى جميع خزانات الركن تقريبا . فلا بد أن كان فى كل حجرة طعام فى البيت العادى خزانة ركن فى خلال ثلاثة الأرباع الأولى للقرن الثامن عشر. وكانت تستخدم لحفظ آنية الشرب على المائدة، والفضيات، والأفاوية؛ وداخلها، الذى كان فى العادة مطليا، كان مركبا فيه رفوف حافاتها الأمامية مهندمة . ومن المرجح أن كانت العادة أن تظل أبواب الخزانة مفتوحة فى أثناء تناول الطعام .

أما صوان اللبس فلا شك فى أنه قطعة كان تصميمها معدا إعدادا خاصا ليلائم حاجيات أحد الزبائن؛ فالجزء الأعلى تسريحة فيها مرآة وفيها العلب والحواجز التى كانت مألوفة ومحبوبة لأسلافنا لايواء أدوات تجملهم . والدرج العميق الذى يرى نصف مفتوح فى الصورة به منزلق للكتابة من الجوخ الأخضر، وفى الأسفل حوض للغسل . وصناعته من فاخر صناعة الأثاث ويرجح أن يكون مصنوعا فى لندن .

ومما يسترعى انتباها خاصا خزانتا الركن الحائطيتين، نظرا لأن أفاريزها مرسومة برسم يخدع الحواس، فيتخيل الرائى نوافذ ذات أطر





منضدة مستديرة من البلوط من الطراز الانكليزى القديم .

رصاصية تبدو خلفها ستائر، وكتب، ومحابر معها ريشة للكتابة . وكانت زخرفة خداع الحواس منتشرة جدا عند الفرنسيين فى آخر القرن الثامن عشر وفجر القرن التاسع عشر. فقرص بعض الموائد الصغيرة كانت تتحلى برسوم ذات دقة رائعة لأشياء مطروحة فوقها مثل ساعة وسلسلة جيب، أو قفاز، أو خطاب .

وأريد هنا أن أسطر شكرى للكابتن فرانك غلبى على سماحه لى بأن أوضح بصور نماذج من مجموعته، هذه الملاحظات التى كتبتها عن الأثاث القديم . وتكوين مثل هذه المجموعة التى لكابتن غلبى يقتضى إدراكا للجودة فى الأثاث، وفى رأيى أن هذا الادراك لا يتحقق إلا بالنظر فى الأثاث على الطريقة التى شرحتها الملاحظات الوجيزة فى هذه المقالة .



تاريخ الصحافة العربية الصادرة فى لندن

بقلم نور الدين بيهم

يقدم كاتب هذا المقال تاريخا مختصرا قيما للصحف العربية التى طبعت فى لندن حتى الحرب الكبرى الأولى . وبالطبع قد نشرت صحف إنكليزية تتعلق بالعالم العربى مثل صحيفة «مصر» التى نشرها ولفريد سكاون بلنت . وهذه الصحيفة استمرت تصدر فى السنوات ١٩١١—١٩١٣، وكثير من مقالات بلنت التى ظهرت فيها قد طبعت من جديد باللغة العربية فى الشرق الأدنى . وفى خلال الحرب العالمية الثانية قد ازدهرت الصحافة العربية مرة ثانية فى العاصمة البريطانية وظهر عدد من الصحف الدورية . نذكر من بينها «المستمع العربى» وهى صحيفة نصف شهرية أسست فى سنة ١٩٤٠، و«أخبار الحرب» وهى صحيفة شهرية أسست فى لندن فى سنة ١٩٤٠ وأسست نسخة نصف شهرية منها فى القاهرة فى سنة ١٩٤٢، و«حقائق الأخبار» وهى صحيفة شهرية أسست فى سنة ١٩٤١، و«الأدب والفن» وهى مجلة تصدر مرة كل ثلاثة أشهر أسست سنة ١٩٤٣ .

وكاتب هذا المقال يعتمد فى أغلب معلوماته على كتاب «تاريخ الصحافة العربية» للعلامة الكبير فيكوست فيليب دى طرازى (بيروت ١٩١٣)، ومجموعة الصحف التى امتلكها هذا العلامة قد ابتاعها المعهد الاستعمارى بهامبرغ فى خلال الحرب العالمية الأولى .

آل سام

اسم لجريدة اسبوعيه سياسية برزت عام ١٨٧٢ لصاحبها رزق الله حسون الذى كان يرتب حروفها بنفسه ويطبعها على المكبس فى بيته فى قرية «وندسورث» (Wandsworth) بالقرب من لندن وقد اخترع هو تلك الحروف وحفرها بأنواع الخطوط المختلفة التى تفوق بها وجهز بها مطبعته المعروفة بمطبعة «آل سام» وكان قصده فى إصدار هذه الجريدة مبنيا على أمرين كانا عنده من أهم الأمور وهما :

أولا الاقتصاد المالى وثانيا التقبيح فى دولة الأتراك التى كانت تتلاعب بها أيدى السياسة الخرقاء . ولم يصدر من جريدة «آل سام» سوى أعداد قليلة لأن منشئها كان يقلد الفرزدق فى الهجو ويقدح قدحا مريعا بالأتراك ودولتهم .

مرآة الأحوال

جريدة أسبوعيه سياسية أخلاقية ظهرت عام ١٨٧٦ لصاحبها رزق الله حسون الذى نشرها لاظهار الخلل السائد فى تركيا فكانت آية فى بلاغة الانشاء وجودة الكتابة وطبعت على الحجر بخط صاحبها . وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الأحرار فى إصلاح تركيا وذلك ما ألجأه إلى سكن لندن إلى آخر حياته . واشتغل معه فى تحرير الجريدة القس لويس الصابونجى وعبد الله مراش . واشتهرت «مرآة الأحوال» فى كل الأقطار حتى أن عدد النسخ التى كانت تباع منها فى لندن وحدها كان ٤٠٠ على قلة الناطقين بالضاد فيها .[١]

---

[١] قد وجدنا أن هذه الصحيفة كانت تطبع فى رقم ٣٣ فتزروى سكوير بلندن وكانت قيمة الاشتراك ستة شلنات ونصف لثلاثة أشهر . وقد يشوق المهتمين من القراء إذا زاروا لندن أن يزوروا هذه الدار التى طبعت فيها صحيفة من أولى الصحائف العربية بلندن .



النحلة

مجلة مصورة كبيرة الحجم متقنة الطبع ظهرت سنة ١٨٧٧ نصف شهرية لمنشئها القس أو الدكتور لويس الصابونجى وقد نشرها أولا فى العربية ثم فى العربية والانكليزية معا حتى بلغت عامها الرابع . وتعد النحلة من أرقى المجلات وأحسنها بتعدد مواضيعها و إتقان رسومها . وكل من طالع

أجزاءها لا يتمالك من الاقرار بفضل صاحبها الذى أحاط بعلوم كثيرة وزين الصحافة العربية بكتاباته التى اشتهرت فى العالمين . وعانى الدكتور صابونجى تعبا جزيلا فى سبيل مجلته التى أنشأها فى ظل الدولة الانكليزية لعلمه : «بأن زهر المعارف لا يجنى إلا فى رياض الحرية وربيع السلام وربوع الأمان . » كما قال فى فاتحة العدد الأول . وبين الذين عضدوا الدكتور صابونجى لنشر مجلته : إسمعيل باشا خديو مصر والسيد برغش سلطان زنجبار ووصى النظام حاكم حيدرآباد وقاسم باشا الزهير البغدادى والدوق اف «وستمنستر» (Duke of Westminster) واللورد «شافتسبرى» (Lord Shaftesbury) وغيرهم . وقد قرظت أمهات الجرائد الانكليزية مجلة «النحلة» بما تستحقه من الثناء .

«حل المسألتين الشرقية والمصرية»

هى أول مجلة شعرية ظهرت فى اللسان العربى بعناية مؤسسها رزق الله حسون الذى نشرها عام ١٨٧٩ مرتين فى الشهر . وكانت تتضمن البحث فى سياسة مصر خصوصا والشرق الأدنى عموما وقد عاشت نحو السنة فبلغ مجموع صفحات أجزائها أكثر من ثلاثمائة صفحة وكانت تطبع على ورق رقيق جدا جدا حتى يسهل إرسالها إلى المشتركين ضمن ظروف مختومة كرسائل البريد ولا تصير مصادرتها من الدولة العثمانية لأن المجلة كانت تحتوى على قصائد مشحونة بالهجو الفظيع فى حق رجال الحكومة العثمانية خصوصا مختار باشا الغازى . وكانت مكتوبة بيد منشئها ومطبوعة على الحجر كسائر الصحف التى نشرها حسون فى عاصمة الانكليز . وتعطلت عام ١٨٨٠ بوفاته إذ فاجأته المنية ليلا فى قطار السكة الحديدية بينما كان عائدا من بيت أحد أصحابه السوريين المقيمين فى لندن إلى داره التى كانت بشارع «ألفا تراس» (Alpha Terrace) فى قرية «وندسورث» وفى الغد شق الأطباء صدره ليعلموا سبب موته فوجدوا قلبه محفوفا بمواد كثيفة شحمية . فحكموا على موته بسكتة

القلب من شدة الاضطراب الذى استولى عليه فى تلك الليلة لأنه بقى إلى نصف الليل مع أصحابه من أبناء العرب وهو يرغى ويزبد ويشتد غيظا على الأتراك ويطعن فيهم .

الخلافة

صحيفة سياسية أنشئت عام ١٨٨١ فى أربع صفحات مخطوطة بيد صاحبها الدكتور لويس صابونجى ومطبوعة على الحجر فجعل شعارها «حرية واستقلال ونجاح وإقبال» ثم افتتحها بهذه الآية . «لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب .» وقد تبرع بعض المتمولين فى إنكلترة برأس مال قدره عشرة آلاف جنيه لنشر هذه الجريدة التى لم نشاهد قط أكثر منها جراءة وأشد لهجة فى تشخيص أمراض الدولة العثمانية ونشر الحقائق الجارحة عن السلطان ووزرائه وكانت فى الوقت ذاته تترجم إلى اللغات التركية والفارسية والهندية تعميما لفوائدها فى جميع الأقطار الاسلاميه . ومن أهم مقالاتها التى تستحق الذكر : «مسألة الخلافة والمسلمون ثم الخلافة فى آل عثمان» وكذلك «حى على الاستقلال أيها الأبطال» ومنها «الخلافة والقانون الأساسى» الخ . فلما اطلع عليها موزوروس باشا سفير تركيا فى لندن بعث ببعض نسخ منها إلى السلطان عبد الحميد الثانى ليقف عليها . فاضطرب السلطان لذلك ثم أرسل أمرا إلى السفير بأن يقنع منشىء الجريدة ويلاطفه ويطمعه بالمال لابطالها . فاستدعاه موزوروس باشا إليه وكلمه مليا بهذا الشأن فأبى الدكتور صابونجى أن يذعن لارادة السفير مصرا على إصدار الجريدة لأن أمراء المسلمين كانوا يعضدونه فى هذا السبيل . وقد احتجبت «الخلافة» عندما أبدل بها منشئها جريدة «الاتحاد العربى» .

الاتحاد العربى

صحيفة سياسية أسبوعية أصدرها عام ١٨٨١ لويس صابونجى فى لندن أيام كان مرتبطا ومشتغلا بسياسة مصر فى عهد عرابى باشا . وكان

القصد فى نشرها اتحاد الناطقين بالضاد وتوحيدهم وتأليفهم عصبة واحدة على الأتراك فى جميع البلاد العربية . ولكن لما شاهد أن الفساد قد دق عظم العرب ولا أمل باتحادهم وجمع كلمتهم أهمل إصدار الجريدة بعد ظهور العدد الثالث منها . وكانت هيئتها شبيهة بهيئة جريدة «الخلافة» من جهة الحجم والطبع وبلاغة الانشاء وشدة الانتقاد .

الغيرة

نشرة سياسية نصف شهرية ذات صفحتين أصدرها عام ١٨٨١ رجل هندى يدعى عبد الرسول كان يتردد على السفارة العثمانية فأوعز إليه موزوروس باشا بانشائها وامده بالمال لادحاض مقالات جريدة الخلافة، وكان عمر جريدته قصيرا بحيث لم يصدر منها سوى تسعة أعداد . وكانت ركيكة العبارة . ولما شاهد السفير العثمانى أن «الغيرة» لا تفى بالقصد الذى أنشئت لأجله قطع المدد النقدى عن عبد الرسول وتوقفت النشرة عن الظهور .

النحلة

جريدة أسبوعية صدرت ١٨٨٤ لصاحبها الدكتور لويس صابونجى غرضها البحث فى سياسة بريطانيا العظمى بالقطر المصرى والسودان والهند الشرقية وشعارها الآية الواردة فى سفر ارميا القائلة : «مصر عجلة سمينة يأتيها الخراب من الشمال» ولما كانت المطابع العربية فى إنكلترة نادرة الوجود ومرتبو الحروف بطيئى الشغل لجهلهم هذه اللغة اقتضى إصدار «النحلة» مكتوبة بخط يد منشئها ومطبوعة على المطبعة الحجرية حتى يتيسر تتبع الحوادث أسبوعا فأسبوعا . وقد لزم الدكتور لويس الصابونجى أو القس لويس الصابونجى فى أكثر مباحثه حدود النقل عن الجرائد الانكليزية وترجمة خطب رجال المجلس النيابى البريطانى بدون تعرض أو تنديد بأعمال الرجال بل ترك الأمر للقارىء أن يبرم فيه الحكم كما تشاء . وكان لايتعصب لدين من الأديان ولا يتشيع لحزب

من الأحزاب . لكنه اقتصر على ذكر جوهر الحوادث السياسية التى تهم المصريين خاصة والشرقيين عامة . ولصاحب «النحلة» مقالات جليلة دافع بها عن حقوق أبناء وادى النيل وأخصها رسالتان على جانب عظيم من الأهمية بعث بهما فى ١١ آب ١٨٨٤ إلى غلادستون (Gladstone) رئيس وزراء إنكلترة وإلى اللورد غرنفيل (Lord Grenville) وزير خارجيتها . وإذ رأى غلادستون أهمية الرسالة المرفوعة إليه أوعز إلى كاتم سره بارسالها إلى اللورد نورثبروك (Lord Northbrooke) المعتمد الانكليزى الخارج العادة فى مصر للتدقيق فى مضمونها . وبالجملة فان هذه الجريدة لعبت دورا كبيرا فى سياسة الشرق لذاك العهد ونالت إقبالا عظيما.

كان الدكتور لويس صابونجى فى عصره من أركان النهضة السياسية فى الشرق ومن أكبر عارفى أسرارها ومعالجى أمراضها . وقد اتخذ الصحافة وسيلة لقمع الاستبداد ونشر المبادىء الحرة القويمة . وكان الدكتور صابونجى غريبا فى أطواره وأفكاره وأفعاله وفى حركاته وسكناته . ولبث متمتعا بكل قواه العقلية والبدنية حتى وافته المنية فى ٢٤ نيسان ١٩٢١ بالغا من العمر الثامنة والتسعين وهو مشتغل بين الأقلام والمحابر . وكان يعلل النفس بأن يعيش أكثر من ذلك لو لم تقتله يد أثيمة طمعا بالمال أودت بحياته ليلا وهو راقد فى سريره . وحدثت هذه الجريمة فى فندق كان الفقيد نازلا فيه بمدينة لوس أنجلوس (Los Angeles) التابعة لولاية كاليفورنيا من أمريكا الشمالية . وكان قد اتخذ هذه المدينة محلا لسكناه فى شيخوخته لأن مناخها وافق مزاجه .

ضياء الخافقين

صدرت «ضياء الخافقين» عام ١٨٩٢ لصاحبها حبيب سلمونى ولعبت دورا مهما فى عالم الأدب والسياسة وحرر فيها الصحافى الكبير إبراهيم بك المويلحى زمنا غير يسير عندما كان فى لندن . ولد حبيب سلمونى سنة ١٨٦٠ فى بيروت وسافر سنة ١٨٧٨ إلى لندن حيث تعرف

باللورد روزبرى (Lord Roseberry) وغيره وحظى بمقابلة الملكة فكتوريا وقد وجد لديه منها رسائل بعد وفاته وحظى أيضا بمقابلة السلطان عبد الحميد وبعض ملوك العرب وكان عضوا فى الجمعية الملكية الشرقية بلندن . وساعد السر ريشارد برتون (Sir Richard Burton) فى ترجمة كتاب «مجنون ليلى» ووضع معجمين كبيرين أحدهما عربى — إنكليزى والآخر إنكليزى — عربى ونشر كتاب The Resurrection of Turkey روى فيه أحوال الدولة العثمانية وأسباب هبوطها . ونشرت مجلة «القرن التاسع عشر» الانكليزية إحدى مقالاته عن تركيا جنبا إلى جنب مع مقالات المستر غلادستون . وبتاريخ ٢٣ تشرين الأول «أكتوبر» ١٩٠٤ توفى حبيب سلمونى عن ٤٤ عاما ملأها بأشرف الأعمال . فرثته الصحف العربية وبعض الأجنبية كالتيمس (Times) والديلى نيوز (Daily News) وغيرهما .

رجع الصدى

أصدرها سليم سركيس عام ١٨٩٤ وكان يذيع على صفحاتها ما يكنه قلبه من التوجع على حال الدولة العثمانية التى ولد فيها وقضى على كتابها بانحباس أقلامهم من شدة الاستبداد . وقد نشر فيها الرسالة التى وجهها الصدر الأعظم فؤاد باشا الكبير عند احتضاره إلى السلطان وورد فيها ما يأتى : «مولاى المعظم لم يبق من عمرى إلا أيام أو ساعات معدودة أقوم فيها بواجب المصلحة العمومية . وأريد أن أبسط أمام عرشكم السامى آرائى الأخيرة وهى آراء محزنة اتضحت لى بعد خدمة طويلة تاعسة .» ثم يقول إن الدولة العثمانية فى خطر وما كنت لأخدع مولاى وبلادى الخ ، وهنا بسط فؤاد باشا أسقام السلطنة العثمانية والعلاجات لشفائها .

وظهرت بعد ذلك ١٨٩٩ جريدة الخلافة لصاحبها سليم فارس الشدياق وجريدة الحقيقة جريدة عربية رسمية سنة ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الأولى .

محاربة البرص

بقلم الأستاذ أحمد كمال سرور

لا يكفى ما يوجد من الوثائق التاريخية لتعيين البقعة التى نشأ فيها مرض البرص . ويميل أولئك الذين توفروا على دراسة الموضوع إلى الاعتقاد بأن أفريقية — وخاصة أفريقية الوسطى من نيجيريا إلى الحبشة — هى القارة التى لا يزال المرض غالب الانتشار فيها حتى اليوم، وهى لذلك موطن الداء الأول .

غير أن هذا المرض كان قد انتشر فى بلاد الهند ومصر منذ عهد بعيد . ومن المؤكد أن انتشاره قد عم أفريقية والهند ومصر مدة ثلاثة آلاف عام، ثم انتقل من الهند إلى الشرق ومن مصر إلى حوض البحر الأبيض المتوسط . ولا يرد فى المؤلفات الرومانية ذكر لمرض البرص إلا بعد رجوع جنود رومانيين من الشرق فى سنة اثنتين وستين ميلادية . وكان الرومان هم الذين حملوا جرثومة المرض إلى إيطاليا وألمانيا . وحدث فى القرنين الخامس والسادس أن نشرت الجنود العدوى فى إسبانيا ومنها نقله فرسان العرب إلى فرنسا عندما غزوها فى القرن الثامن .

ومن المؤكد أن الرومان هم الذين نقلوا جرثومة البرص إلى الجزر البريطانية . وعندما حل القرن الثالث عشر كان البرص منتشرا فى النرويج والدانيمارك والسويد وإسلاندة وگرينلاند وجزائر شتلاند وفيرو وفى هولانده والروسيا وأقطار البلطيك .

على أن المرض داء استوائى فى الغالب، وما تاريخه إلا تاريخ مرض بشرى متوطن فى بعض المناطق كأفريقية والهند والصين يجتاح الأقطار التى نقلت إليها جرثومته فى فترات وبائية طويلة ويختفى بعد ذلك أثره

دون أن يكون لذلك سبب واضح . ورغما عن أنه مرض استوائى فقد كان لا يزال منتشرا فى السويد عند مستهل القرن التاسع عشر بينما كان آخذا فى زيارة الانتشار فى النرويج فى أواسط القرن نفسه .

والبرص من أمراض الولايات المتحدة المتوطنة ويظهر فى غالبية مناطقها الشبيهة بالاستوائية والمجاورة لخليج المكسيك، غير أنه لا توجد فى الواقع إلا حالات قليلة . ومن المحتمل أن يكون الأسبان والبرتغال هم الذين نقلوا جرثومة المرض إلى هذه الأنحاء، ثم انتشر بعد ذلك فى أذيال تجارة الرقيق كما حدث فى جزائر الهند الغربية وجنوبى أفريقية .

التاريخ الطبى الأول للمرض

ما زال بعض الأطباء ممن تنقصهم الخبرة الخاصة، يجد صعوبة أحيانا فى التفرقة بين البرص وبين أنواع الأمراض الجلدية الأخرى .

وإذا كان الارتباك موجودا حتى اليوم فمن المؤكد أنه لم يكن يقل عن ذلك منذ قرون خلت، عندما كان علم الطب لا يزال فى طور البداءة . والواقع أن عبارة مريض بالبرص لا تثير اليوم فى أذهاننا نفس ذلك المعنى الذى كان الناس يفهمونه منها فى الأزمان الغابرة . بل كان الأمر يذهب حتى أوائل القرن السادس عشر إلى حد إدراج الأمراض المعدية التى يصحبها طفح جلدى ذو قشور أو تقرح، فى قائمة معانى لفظة البرص . ولم تكن أمراض الحيوانات تستثنى من ذلك، فقد جاء ذكر البرص فى رسالة عن أمراض الخيول .

أما البرص فهو مرض تسببه جراثيم البرص، وعوارضه تقرح فى الجلد وأذى فى الأعصاب، مما ينجم عنه تشويه فى الجسد، تترتب عليه الوفاة بفعل الأمراض المتداخلة .

العدوى

توجد الجراثيم أثناء مرحلة المرض المعدية فى إفرازات خياشيم المرضى المخاطية . ويعتقد الآن أن العدوى تنجم على وجه الاحتمال الغالب،



منظر من الجو لمصحة البرص في تشنگماى.

عن تسرب هذه الجراثيم إلى أجسام الأصحاء. وقد تنتشر الجراثيم فى الهواء أثناء السعال والقح والبصق والكلام، ويظن أن الجراثيم عندئذ تدخل الجسم عن طريق خدش فى الجلد أوفى الخياشيم أو أى جرح فى الجسد. ويكاد يكون من المؤكد أن العمل الرئيسى فى انتشار المرض هو الاحتكاك القريب الدائم بشخص مصاب.

المكافحة والعلاج

إن مكافحة البرص سهلة التدبير صعبة التنفيذ. فانه إذا كانت القيود شديدة الصرامة بذل المصابون أقصى الجهد للتملص منها، وراحوا يسترون مرضهم ويكتمون أمره، وهم غالبا يظفرون بذلك فضلا عن مساعدة الأهل والخلان.

ويحسن هنا أن نسرد الحقائق الآتية :

أولا : البرص من الأمراض المعدية.

ثانيا : من المفضل عزل المصابين بالبرص فى الأقطار التى ينتشر فيها المرض.

ثالثا : يجب إقصاء المرضى عن الأعمال التى تهيىء الفرصة لانتشار العدوى.

رابعا : يجب فصل أبناء المصابين عن ذويهم والاشراف عليهم.

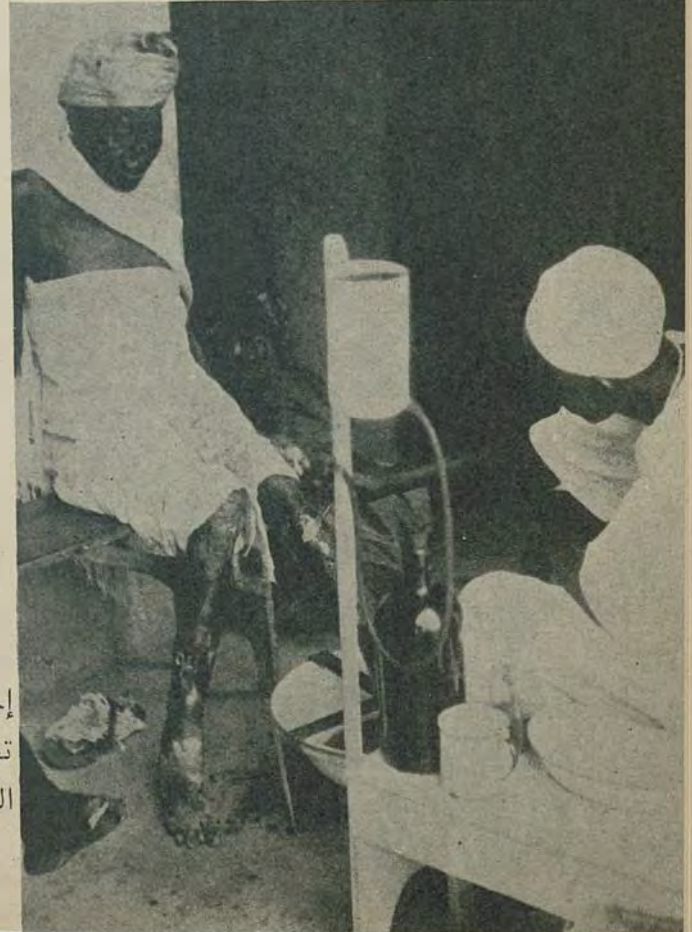
خامسا : يجب فحص من عاشوا مع المرضى تحت سقف واحد فى فترات منتظمة تبيين أولى بوادر انتقال العدوى إليهم.

سادسا : ليس البرص من الأمراض المستعصية، ولكن لم يكشف له عن دواء حتى اليوم .

العزل

· يستدل من تاريخ البرص فى النرويج، على ما يسفر من النتائج الطيبة عن اتخاذ الاجراءات الرحيمة لعزل المرضى . فقد نفذت هذه الاجراءات تنفيذا دقيقا، ونجم عنها نقص مطرد فى عدد المصابين .

على أن أخطر ما ينجم عن العزل القهرى هو محاولة المرضى وأصدقائهم كتمان أمر المرض، مما يعمل على زيادة انتشار المرض فى الخفاء . لذلك كان من الأمور الشديدة الأهمية أن تعمل السلطات المكلفة تعليم



إحدى المرضى تضمد لها قروحها البرصية فى عيادة .

الشعب على إقناعه بأفضلية هذا العزل . وقد أثبتت التجارب أنه إذا أحيطت إجراءات العزل بالمغريات التى من شأنها أن تجعل العزل من الأمور المستحبة، وعرف الناس ما لا بد عائد عليهم من المزايا إذا ما لجئوا إلى العلاج المبكر، بدت من الناس روح التعاون فى مهمة الحد من خطر انتشار المرض .

هيئة إعانة المرضى بالبرص فى الامبراطورية البريطانية

عاش المريض بالبرص دائما أبدا منبوذا فى الهيئة الاجتماعية . وقد كان يسمح له فى إنكلترة أحيانا فى القرون الوسطى، بالتجوال متسولا فى أنحاء البلاد، على أن يصحبه دائما ناقوس يدقه محذرا كى يبتعد الناس من طريقه .

ولم يكن يحدث فى الأقطار الاستوائيـة فى العصر الحديث غير ذلك . غير أن عهدا جديدا قد بدأ عندما أسست هيئة إعانة المرضى فى الامبراطورية البريطانية فى سنة ١٩٢٤ .

اتصلت الهيئة مباشرة بكافة المؤسسـات الأخرى التى تشتغل بمكافحة البرص فى جميع أنحاء الامبراطورية . وراحت تتحرى عن مرض البرص والاحصائيات الحيوية وطرق العزل المحلية ووسائل العلاج وما شابه ذلك . أما هدف الهيئة فهو نشر طرق العلاج المستحدثة وترقيتها فى كافة أقطار الامبراطورية فى أقصر وقت ممكن . ومن أعمالها أنها قامت بتقديم التبرعات لمنشئات معالجة البرص، وسعت فى إنشاء مراكز للعلاج وتزويدها بالأدوات اللازمة .

منشئات البرص ومستعمرات البرص

يجب أن يسير العمل فى هذه الأماكن على نحو إنسانى دون أن يكون هناك تدخل فى نواحى الحرية الشخصية إلا ما تتطلبه مقتضيات العلاج . ويجب ألا ينشأ مستشفى للبرص فى إحدى المدن كى لا يلوح فى أعين المرضى أنه أحد السجون، بل ينبغى أن يكون فى

مستعمرة خاصة بعيدة عن المدينة، فى العراء، فى مساحة شاسعة يمكن زرعها والعيش فيها كأنها مجتمع صغير، تتوفر فيه فرص العمل واللهو، وأحدث وسائل العلاج والرعاية . ويجب لذلك أن يكون فى هذه المستعمرة مستشفى يعالج فيه الذين بلغ مرضهم حالة خطرة شوهت فيها أجسادهم، على أن يخصص فيه جناح للحالات الخفيفة القابلة للعلاج والشفاء، ومنزل منعزل للأصحاء من أبناء المرضى بالبرص، وما يمكن من التسهيلات اللازمة لتوفير فرص الأعمال الزراعية والصناعية . فانه من الممكن لمثل هذه المستعمرة أن تكفى نفسها بنفسها إلى حد كبير . والواقع أن عددا من مستعمرات البرص يسير على هذا المنوال .

العلاج

يحسن أن نقتبس هنا ما يقوله روجرز و ميور، ويحتمل أنهما خير الثقات فى الموضوع :—

«من العبث أن نحاول العناية بالمريض إذا لم يكن محوطا بخير النظم المعيشية العامة — فى بيئة صحية، متمتعا بالتغذية الصحية المنتظمة، بعيدا عن كل ما يسبب له الهم والكدر أو القلق على أسرته . أما العلاج الخاص، فيجب أن يبدأ فى أقصر وقت ممكن، وأن يظل مدة طويلة بعد أن تكون الأعراض المادية قد اختفت . »

والشولموگرا (Chaulmoogra) هو العقار الوحيد الذى عمر على التجربة مدة قرون طويلة، غير أنه محدود الأثر، فانه لا يهيىء الشفاء إلا بعد علاج طويل، على أن يبدأ المريض العلاج فى مرحلة مبكرة قبل استعصاء الداء، وأن يظل مثابرا عليه .

وجرب العلاج بالمصل منذ أربعين عاما، وأصدرت عن نتائج التجارب، تقارير طيبة، ولكن فاعلية هذه الطريقة لم تعمر . ثم استخدمت الحقن الخاصة منذ ما يقرب من ربع قرن، فصدرت عن آثارها تقارير حسنة فى أول الأمر، ولكن نجاحها لم يدم، فان العقار الوحيد الذى عمر على اختبار الدهر والتجربة هو الشولموگرا، والحوامض التى يتكون منها .




توضح الصورة التى إلى اليمين رجلا مصابا بالبرص، قبل علاجه .
وفى الصورة التى إلى اليسار نفس الرجل بعد ٣ أشهر فى العلاج .

مستعمرة البرص فى أوزوا كولى

من الأمثلة التى تبين ما يمكن عمله لاستئصال شأفة المرض ما يكشف عنه التقرير الذى كتبه المستر ديڤى عن مكافحة البرص فى مقاطعة أويرى بجنوبى نيجيريا، وهو تقرير نقيم عليه البيان التالى .

الأغراض والسياسة

إن الهدف الذى ترمى إليه منشأة أوزوا كولى لمكافحة البرص هو القضاء على المرض فى مقاطعة أويرى . ولكن تحقيق هذا الهدف لا يمكن أن يتم إلا فى المستقبل البعيد ويتطلب حل مشكلات عويصة قبل أن يتحقق . على أن المهمة قد بدأت فوضعت مبادىء العمل العامة، واختبرت أوجه السياسة المقترحة، وثبتت صلاحيتها .

وأخذ الهجوم على مرض البرص الذى لم يكن فى سنة ١٩٣٩ إلا تجربة، يشتد وطأة فى اضطراد وهاهو الآن فى بعض أنحاء المقاطعة يجتث المشكلة من جدورها .

ويتكون البرنامج من المواد الآتية

أولا : إنشاء عيادات للبرص يتلقى فيها المرضى العلاج الناجع دون أجر .

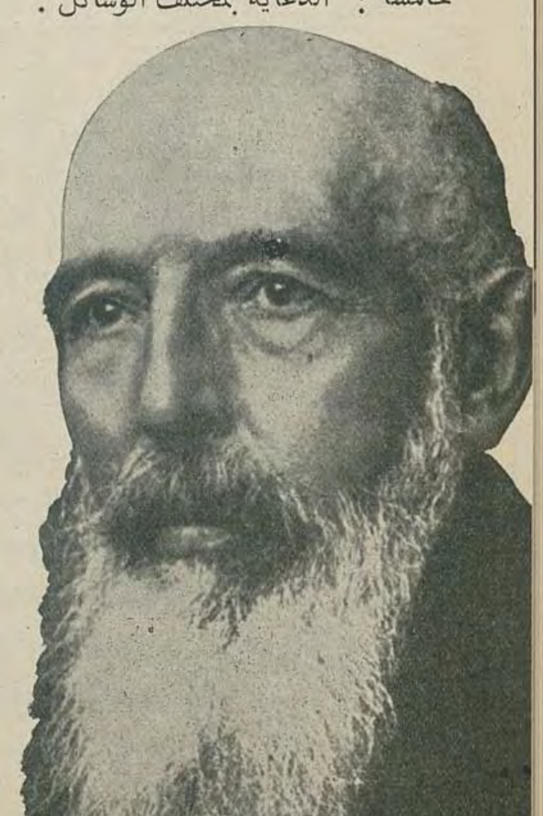
ثانيا : القيام باحصائيات دقيقة فى المناطق التى يريد أهلها التعاون وتوجد فيها فعلا عيادات للبرص .

ثالثا : عزل حالات البرص المعدية عزلا اختياريا فى قرى نموذجية، ملحقة بعيادات يعمل فيها ممرضون مقيمون، حتى يكون الاشراف كليا .

أربعا : قيام مفتشين إخصائيين فى مرض البرص، بتفقد العيادات وخطط المكافحة .

خامسا : الدعاية بمختلف الوسائل .

ويمكن تكييف هذه الخطة العامة بحيث تتفق ومقتضيات الظروف المحلية . فلكل منطقة مشكلات خاصة بها، ومن الضرورى أن تتمشى الخطة المقترحة مع عقلية أهل المنطقة وحاجاتهم .



جرهارد هانسن الطبيب الشهير الذى كشف عن «الباسيلوس» الذى يسبب البرص .

عيادات البرص فى مقاطعة أويرى

تنحصر المرحلة الأولى من مراحل الهجوم على مرض البرص فى أكبر مقاطعات نيجيريا الجنوبية وأشدها ازدحاما، فى إنشاء العيادات لمعالجته . يبلغ عددها الآن تسعا وعشرين عيادة . ويتردد على هذه المراكز فى انتظام ومثابرة أكثر من سبعة آلاف مريض، على حين يوجد ألف آخرون تحت الملاحظة الطبية .

نظام العيادة

ليست العيادة إلا مكانا ملائما قرب طريق للسيارات يمكن المرضى بالبرص أن يؤموه للعلاج . وليس من الضرورى أن تكون بناء هائلا . ومكان العيادة فى الواقع منحة من أحد الرؤساء أو من المرضى أنفسهم . ولا يدفع للأرض إيجار، فان أصحاب الأملاك يتبرعون بها دون أجرة لصالح الشعب . وهكذا يشعر المرضى أن العيادة ملك لهم، ومن شأن هذا الشعور أن يساعد على نشر روح التعاون بينهم . وتتكون العيادة من كوخ للعلاج، وثان لتضميد القرح، وثالث للانتظار .

وفى العيادة تقيد أسماء المرضى، وتؤخذ درجة الحرارة، ويقدم علاج البرص، وتضمد القرح، وتعطى النصائح الخاصة بالصحة الشخصية . وغالبا ما يحدث أن تتحسن حال قرح أهملت عدة سنين عندما تعالج . وكذلك يعود للمرضى شعورهم بكرامتهم الشخصية، كما يتيقظ فى نفوسهم الأمل والمرح . غير أن المرضى العاجزين ينقلون إلى المستشفى فى أوزوا كولى . أما المرضى القادرون، فيقومون بمساعدة المرضين أو يؤدون مهام رجال الشرطة .

وتتراوح العيادات فى الحجم، فتتسع أكبرها مثلا، وهى عيادة أوتورو، لمعالجة تسعمائة مريض . ويوجد فى كثير من العيادات ممرضون مقيمون وهو ما يهيىء الفرصة لتضميد قرح المرضى كل يوم . كما أن المرض يعد العدة للزيارة الأسبوعية لموظف الصحة مع مساعديه من أوزوا كولى، ويقوم بزيارة المرضى المتغيبين .

إحصائيات البرص

من شأن إخضاع السكان كلهم للكشف الطبى، أن يساعد على عمل إحصائيات دقيقة خاصة بظروف الاصابة وأنواعها، مما يحدد مدى المشكلة تحديدا دقيقا . على أن إجراء إحصائيات البرص أصعب مراحل مكافحة هذا المرض، ولكنها القاعدة الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها . وأول ما تكشف عنه الاحصائيات هو أن عدد المرضى الذين يترددون على العيادة ليس دليلا حقيقيا على مدى انتشار البرص . فمن المرضى طبقتان لا تؤمان عيادات العلاج فى أعداد تبين نسبتهما الحقيقية : وهما طبقة المرضى الذين بلغت حالتهم درجة خطرة أقعدتهم عن الحركة، وطبقة المرضى الذين ما زالوا فى مرحلة مبكرة من المرض ويكتمون أمره خشية العاقبة، وهى طبقة كبيرة .

العزل الاختيارى

وإذ يتم إنشاء عيادة وإجراء إحصائية، تتهيأ الفرصة للخطوة الحيوية فى مكافحة البرص . فان انتشار المرض راجع إلى جملة أسباب، منها شدة الازدحام، وقلة التغذية، والأمراض التى تسبب الهزال، ورداءة الظروف المعيشية الصحية، وما شابه ذلك . ولكن هذه الأسباب الثانوية لا تترك أثرا إلا إذا كانت جرثومة المرض موجودة .

فاذا تسنى منع الاحتكاك بين المصابين والأصحاء، استحال انتشار البرص . ولما كان الثقات كلهم مجمعين على أن العزل هو الخطوة الحاسمة فى مكافحة البرص، فان خير السبل هو ما يجعل العزل أمرا اختياريا بل أمرا مستحبا أيضا يقبل عليه المرضى طوعا دون خوف .

وهذا هو الواقع فعلا فى مقاطعة أويرى، فقد زاد عدد الذين عزلوا أنفسهم طوعا على ألفى مريض، ناهيك من مئات أخرى تود ذلك حالما توجد الأمكنة الكافية . ففى القرية النموذجية بمستعمرة البرص، يعيش المرضى فى بيئة صحية على مقربة من مزارعهم، دون أن يقاسوا ما كان يؤلمهم فى المدينة من نبذ وشقاء .



ثلاثة من المرضى بالبرص، وليس فى أحد منهم الآن ندوب من آثار المرض، وقد أخذت صورتهم عقب مغادرتهم المصحة مباشرة . وجميع الصور التى ننشر مع هذه المقالة (ما عدا صورة الدكتور هانسن التى استعيرت من هيئة «بحوث ولكوم ») مأخوذة عن صور تفضلت باعارتها جمعية التخفيف عن البرص للعاهلية البريطانية .

أعمدة الحكمة السبعة - ٣

عودة أبو طي

شخصية نموذجية للبطولة العربية يحللها لورنس

بقلم الدكتور محمد الدسوقي النويهي
مدرس الأدب العربي بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن

لورنس - مؤلف كتاب أعمدة الحكمة السبعة

درسنا فى مقالنا السابق نخبة من المسائل الهامة التى يعيننا كتاب (أعمدة الحكمة السبعة) على تفهمها و إدراك كنهها . ولكن جديرا بنا أن نقرر أن الكتاب لا يقتصر فضله على علاج مسائل منفردة، و إنما هو كله فى جملته تعليق قيم على بلاد العرب وساكنيها، وشرح بين على تاريخها وأدبها . فأنت إذ تقرؤه تشعر وكأنك تعيش فى تلك الطبيعة، تلفحك رياحها، وتصهرك شمسها، وتحيرك مفاوزها، تعييك صخورها، وتروعك مناظرها وآفاقها . كما أنك تزداد قربا إلى دخيلة النفسية العربية، وكيف تتفاعل هذه النفسية، بما يعرض الكتاب من تحليلات قوية فائقة لنماذج متعددة مختلفة من الشخصيات الفردية العربية .

ولعل خير ما نختتم به هذا البحث أن ندرس إحدى الشخصيات التى يحللها الكتاب . والحق أن (أعمدة الحكمة السبعة) يزخر بعشرات الشخصيات العربية، التى قد أجاد لورنس فهمها، وأجاد رسمها ووصفها، حتى كاد أن يكون كتابه «درامة» مليئة بالأشخاص الأحياء، يجيئون فيها ويذهبون . وكم وددت لو اتسعت لى صفحات «الأدب والفن» فعرضت فيها عرض الناقد التمثيلى كل تلك الشخصيات التى رسمها لورنس رسما كاملا، شارحا مقدارها من الصدق والقوة والتمام، مبينا كيف تقدم لنا أعظم العون على فهم نفسية العرب، نبلائهم ووضعائهم، أشرافهم وأدنيائهم، بدوهم وحضرهم، كهولهم وفتيانهم وصبيانهم . ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ! فلأقصر نفسى مرغما على اختيار شخصية واحدة . وقد آثرت شخصية (عودة أبو طى) . أولا لأنها لبساطتها لن تكلفنا عناء شديدا فى فهمها، ولن ترهق صفحات «الأدب والفن» بأكثر مما ينبغى . وثانيا لأنها تكاد تكون شخصية نموذجية للبطولة العربية، إذا تفهمناها وأدركنا جوانبها ساعدنا ذلك على تفهم مئات الشخصيات العربية التى نقرأ عنها فى التاريخ العربى من الفرسان البسلاء، الذين بلغت شجاعتهم وفروسيتهم حدا يكاد يكون خرافيا، بما امتلكوه من إقدام وجرأة، ومن نجدة ومروءة، ومن كرم وسخاء، كثيرا ما يكللها

شاعرية غريزية . أمثال هذه الشخصية يمتلىء بها التاريخ العربى، قبل الاسلام وبعده . فاليك وصفا لعودة أبو طى، الذى رآه لورنس وصاحبه، ورافقه شهورا طويلة فى مغامراتهما المشتركة، أتيح له فيها أن يدرسه عن كثب وعلى مهل . فاذا أدهشتك من عودة أشياء تخالها خرافة فتذكر ذلك، وتذكر أن لورنس وصاف صادق أمين .

كانت شهرة عودة قد طبقت آفاق الجزيرة العربية، وكان اسمه رائعا مهيبا يفعم القلوب بالاكبار والوجل وبالعجب، لما اتصف به من شجاعة متهورة، وصدر لا يعرف إليه الخوف سبيلا، ونفس لا تهاب الموت . وقد سمع به لورنس، فتاقت نفسه إلى لقائه، وتمنى لو يجتذبه إلى صفوف الثورة العربية، حين كان لورنس يدبر الزحف على العقبة .

ففى ذات يوم بينما لورنس فى معسكر الأمير فيصل فى الوجه، إذ بتابع يدخل الخيمة فى عجل ويهمس بكلمات فى أذن فيصل، وفى الحال التفت فيصل إلى لورنس وقد التمعت عيناه، وقال محاولا أن يتمالك انفعاله ويخفى اضطرابه : «قد جاء عودة ! » فصاح لورنس : «عودة أبو طى ! » نعم لقد كان عودة بنفسه، ذلك البطل الباسل، جاء يحلف يمين الولاء للأمير فيصل، ويشد أزر الثورة العربية . ومن يومها وثق لورنس بأنه قد كتب للعرب نجاح مشروعهم فى الاستيلاء على العقبة .

كان عودة طويل القامة، قوى البنيان، ذا سحنة رائعة مليئة بالعاطفة الزاخرة الحارة . وكانت كل روحه تشع بطولة وفروسية، وتتوثب للقتال، لا يقر له قرار، ويود لو اندفع من لحظته إلى ساحة الوغى . وما استمع لورنس إلى كلماته المتحمسة حتى وثق بصدق شخصيته، فانزاح عن صدر الجميع عبء ثقيل، ووثق لورنس بأنه لو تمكن عودة من تنفيذ نصف ما يتأجج به صدره من العزيمة لكان هذا كافيا لتحقيق نجاحهم وفوزهم .

كانت ملابس عودة بسيطة غاية فى البساطة، وكان متزييا بالزى الشمالى من القطن الأبيض وعلى رأسه كوفية موصلية حمراء . وكان يبدو

وكأنه قد جاوز الخمسين من عمره، وقد خط الشيب شعره الأسود، ولكنه كان لايزال قويا منتصب القامة، نحيفا رشيقا مائى الحركة، ذا نشاط وحيوية يعادلان من هو أصغر منه سنا بكثير. وكان وجهه رائعا فاخرا بخطوطه وفجواته، وقد ارتسم عليه الحزن العميق الذى سببه مصرع ولده عناد، ولده المحبب الذى خر قتيلا فى ساحة الحرب، وخلف لأبيه شقاء شمل حياته كلها، إذ فقد أمله فى أن يترك للأجيال القادمة عظمة اسم «أبو طى».

وكانت عيناه كبيرتين ناطقتين، كأنهما المخمل الثمين الأسود فى شدة سوادهما. وكانت جبهته منخفضة عريضة، وأنفه عاليا حادا شديد التقويس. وكان فمه واسعا سهل الحركة. وبالاجمال كان منظره، كما يتجلى من وصف لورنس ومن الصورة البديعة التى يتضمنها كتابه، رائعا يدل على شخصية قوية بالغة القوة والعنف، يلقى فى القلب

المغيرون يجتمعون أمام خيمة شيخ القبيلة.



الروع والاجلال، ترتسم عليه آيات الشمم العربى، والعزيمة القاهرة، وتسطع فى أساريره حدة الذكاء العربى، وحدة النظر، كأنه صقر أجدل (مقابل صفحة ٢٢٢ من الكتاب).

أما سخاء عودة فكان جارفا لا يحده حد، ويقول لورنس إن كرمه هذا جعله دائم الفقر برغم مغانمه من مائة غزوة. أفلا يذكرنا هذا بأشعار حاتم الطائى؟ بل أليست جملة لورنس هذه تعبر عن نفس الحقيقة التى شرحها عروة بن الورد حين قال فى قطعة يصف فيها غزواته التى لا انتهاء لها:

إذا قلت قد جاء الغنى حال دونه	أبو صبية يشكو المفاقر أعجف
له خلة لا يدخل الحق دونها	كريم أصابته حوادث تجرف
فانى لمستاف البلاد بسربة	فمبلغ نفس عذرها أو مطوف.

ولقد جرح عودة ثلاث عشرة مرة، على حين أن الحروب التى أثارها وأذكى نارها قد أهلكت معظم أقربائه وأضرت بكل رجال قبيلته. وهو قد قتل خمسة وسبعين رجلا عربيا بيده فى المعارك، ولكنه ما حدث قط أن سفك دما إلا فى معركة. وقد صارت قبيلته طويحة، تحت قيادته، القاتلين الأوائل فى الصحراء، وانتشر صيتهم بما أبدوه من شجاعة مستميتة، واعتزاز وأنفة وشعور بالتفوق لم يفارقهم ما داموا أحياء. وإن كان قد أنقص عددهم من ألف ومائتى رجل إلى أقل من خمسمائة فى خلال ثلاثين سنة. نقول: ألا يذكرنا هذا كله بما طالما شهدته الجزيرة العربية من حروب عاصفة، أذكتها العصبيات قبيلة، وأصر عليها كل فريق وإن كانت لم تعد على أحد إلا بالويل والدمار؟ أفلا تتسارع إلى ذاكرتنا ونحن نقرأ هذا أبيات زهير الرائعة:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو	وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	وتضرى إذا ضريتموها فتضرم
فتعركمو عرك الرحا بثفالها	وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها	قرى بالعراق من قفيز ودرهم.

وكان عودة يقوم بغزواته كلما سنحت له فرصة، كما امتدت هذه الغزوات إلى مسافات شاسعة . فهو قد رأى حلب والبصرة والوجه ووادى دواسر فى هجماته . وكان يبذل جهده دائما فى أن يعادى كل قبائل الصحراء تقريبا حتى يكون لغاراته ميدان فسيح . نقول : ما أعجب وما أغرب ذلك ! ألا ينطبق هذا أتم انطباق على ما قاله عروة بن الورد الفارس الجاهلى :

ستفزع بعد اليأس من لا يخافنا كواسع فى أخرى السوام المنفر
يطاعن عنها أول القوم بالقنا وبيض خفاف ذات لون مشهر
فيوما على نجد وغارات أهلها ويوما بأرض ذات شث وعرعر
يناقلن بالشمط الكرام أولى القوى نقاب الحجاز فى السريح المسير .

أما صبر عودة فى المعركة فيقول عنه لورنس إنه كان بالغا أقصى حدود الصبر . وكان يسمع النصح أو النقد أو الهجاء ويتغاضى عنه بابتسامة فاتنة لا تغادر شفتيه . ولكنه إذا أثاره الغضب انفعل وجهه انفعالا شديدا وانفجر عودة فى ثورة مزلزلة من العاطفة، ولم يلطف حدته إلا أن يقتل . وفى مثل تلك الحالات كان وحشا شرسا ينجو الناس من حضرته . نقول : أما يذكرنا هذا بقول عنترة :

أثنى على بما علمت، فاننى سمح مخالطتى إذا لم أظلم
و إذا ظلمت فان ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم .

ولم يكن شىء على ظهر الأرض ليثنى من عزيمته أو يجعله يقوم بما ليس يوافق عليه، فحين يستقر عزمه لا يبالى باحساسات الرجال .

كان يرى الحياة كأنها ملحمة دائمة من البطولة والفروسية . وكان يرى كل ما حدث فى حياته خطيرا ذا شأن، وكل من اتصلوا به أبطالا . وقد اكتظت ذاكرته بالقصائد التى تدور على الغارات الماضية وعلى ملاحم القتال وقصصه البطولية . وكان يتدفق بهذه القصائد على أقرب سامعيه، فان لم يجد مستمعا غناها لنفسه فى صوته العظيم الملىء بالعمق والحدة والعلو . ولم يكن له سيطرة على شفتيه ولذلك كثيرا ما أضر بنفسه



صورة لعودة أبوطي من رسم إريك كيننگتون (مأخوذة عن كتاب «أعمدة الحكمة السبعة

وبأصدقائه بكلامه الجامح . وكان أحيانا يتملكه شيطان الخبث فيشاكس أصدقاءه . ولكنه كان مع ذلك متواضعا، بسيطا بساطة الطفل، مستقيما، مخلصا، طيب القلب، يحبه أصدقاؤه أشد الحب، برغم الأذى الذى كان كثيرا ما يجلبه عليهم .

صاحب عودة لورنس فى مغامراته منذ الزحف على العقبة حتى النهاية حين فتحت دمشق . ولم يكن الفارس الأول فى حلبة القتال فحسب، بل كان هو رائد الجيش ودليله فى الصحراء . ولورنس يبدى أكثر من مرة دهشته البالغة لعظم خبرة عودة بالطريق، واهتدائه إلى خفايا الصحراء ومشكلات طرقها ومجاهلها اللانهائية حتى فى الظلام الحالك حين كان يهتدى بالنجوم، وهذا كله يستعيد إلى ذاكرتنا ما كان يفخر به الشعراء الأقدمون من خبرة بمفاوز الصحراء وفيافيها المبهمة الموحشة .

وأما بسالته وجرأته المتناهية واستهانته بالموت، فقد دلل عليها أكثر من مرة فيما قام به الجيش العربى من هجمات فى اصطحابه للورنس . إذ كان هو دائما أول من يندفع كالصاعقة : ينقض على ظهر فرسه كالصقر مزمجرا كالأسد الهادر لا يبالى بالرصاصات المتطايرة حول رأسه . كان دائما أول المهاجمين، وكأنما كان الموت دائما يتجنبه . وإليك القطعة التالية تمثل لك إحدى هجماته، وهى فى الهجوم على العقبة (ص ٣٠٢—٣٠٤) .

كان لورنس قد أصابته ضربة الشمس، وأضناه التعب الشديد بعد يوم قاس بلغت فيه الحرارة أقصاها . فالتمس مع صاحب عربى له مكانا ظليلا تحت ضفة واد، حيث صمم على تلمس قدر من الراحة لجسمه المجهد قبل الهجوم . ولكن عودة لا يعرف العناء ويحتقر الراحة ومن يتلمسها . فهو يقبل إليهما يخطو خطوات واسعة قوية، وقد احمرت عيناه، وانفعل وجهه هياجا وعنفا . فلامهما أمر اللوم على تكاسلهما وقلة جلدهما . وكان وجهه شاحبا من الغيظ، وكان يرتعد غضبا، فنزع عقاله عن رأسه

وألقى به على الأرض بجانب لورنس، ثم رجع يعدو متسلقا التل كأنه قد أصابه الخبل، يصيح إلى رجاله بصوت هائل .

أقبل إليه رجاله، وبعد برهة تفرقوا هابطين. إذ ذاك خاف لورنس أن تكون الأمور قد ساءت، فجاهد حتى بلغ عودة حيث كان عودة واقفا منفردا منتصبا على ذروة التل يحملق إلى العدو. ولكنه لم يخاطب لورنس بأكثر من أن قال : «أحضر ناقتك إذا كنت تريد أن ترى ما سيعمل الرجل الهرم ! »

ثم اندفع عودة فقاد فرسانه الخمسين، وانحدر بهم إلى الوادى فى سرعة هائلة كأنهم سيل منقذف. فذعر جيش العدو وأصابه الهلع، وانخلع قلبه أمام هجمة عودة . كانت هذه الهجمة هى القاضية، تم من بعدها النصر المبين، ودخل الجيش العربى العقبة واستولى عليها .

ولما انجلى الغبار عن عودة أقبل إلى لورنس مرغيا مزبدا وقد التمعت عيناه بحماسة القتال ونشوة النضال . و إذا به سليم لم يمسسه سوء . حكينا أن الموت كان كأنه يتجنب عودة . فهو فى هذه اللحظة قد أقبل يمشى على قدميه إذ كان فرسه قد أصابته طلقة نارية فخر صريعا . وقد تخللت ثياب عودة ست رصاصات ولكنها لم تصبه بخدش واحد . وقد تحطم منظاره الحربى، وتمزق قراب طبنجته، وتمزق غمد سيفه قطعا، ولكنه مع كل هذا عاد سليما !

ولكن عودة لم يكن يحتاج دائما إلى أن يقاتل لكى يسلم له العدو. فكثيرا ما كان مجرد اسم عودة بما يدخل على القلوب من الرعب يضمن النصر العاجل قبل أن تطلق رصاصة واحدة . و إليك الواقعة التالية (ص ٤٧٢) التى سلمت فيها قرية طفيلة بمجرد أن سمع محاربوها صوت عودة. وكان جيش لورنس قد تفرق على المرتفعات مقابل القرية فى احتياط وحذر ليبادل أهلها النار. ولكن عودة اهتاج غيظا وحنقا أن يجرؤ هذه القرية على مقاومة أبى‌طى. ولم يرضه كل هذا التأهب والاحتراس الذى كان صحبه يدبرونه قبل الهجوم . فهمز بفرسه واندفع



فريق من رؤساء قبائل الصحراء الشمالية لجزيرة العرب، من أمثال أولئك الذين اجتاحوا دمشق مع فيصل .

بها ودخل القرية وهو يهز يده أمام مقاتليها مهددا متوعدا، وصاح فى صوته الرائع : «ياكلاب أما تعرفون عودة ؟ » يقول لورنس : فلما أدركوا أن ذلك ابن الحرب الذى لا تخمد جذوته، خذلتهم قلوبهم وتم تسليمهم دون قتال . . .

أفلا يستعيد كل هذا إلى ذاكرتك سير الفرسان القدماء، ويعينك وصف لورنس وتحليله على فهم شخصياتهم ؟

ولنختتم هذا البحث بهذه الأبيات الحماسية الرائعة للفارس الجاهلى عنترة :

إن تغدفى دونى القناع فاننى ... طب بأخذ الفارس المستلئم
وإذا ظلمت فان ظلمى باسل ... مر مذاقته كطعم العلقم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
يخبرك من شهد الوقيعة أننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم
يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر فى لبان الأدهم
والخيل تقتحم الخبار عوابسا ... من كل شيظمة وأجرد شيظم
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس : ويك عنتر أقدم !

العلم فى بريطانيا : ١

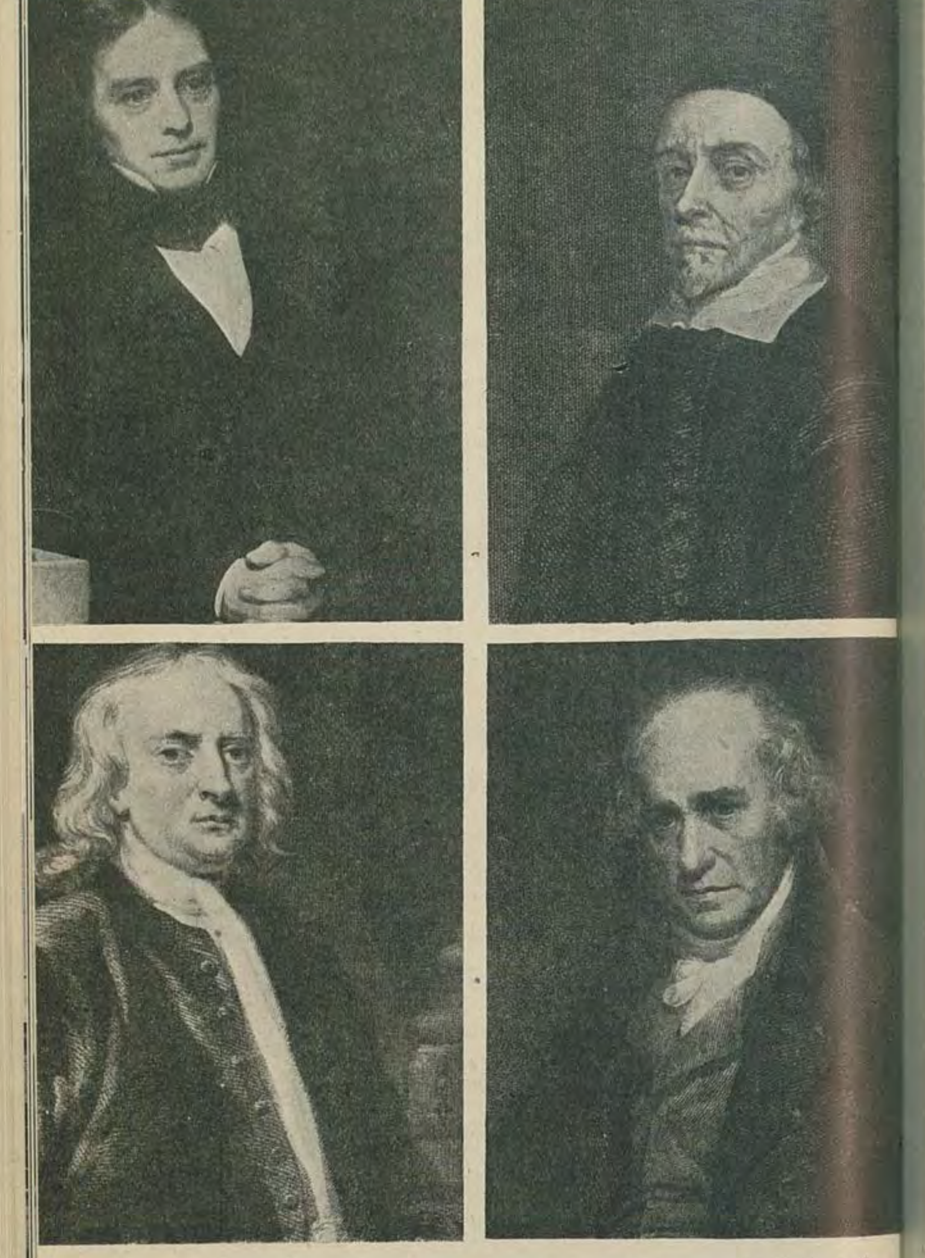
الحقائق قبل النظريات

بقلم الأستاذ دجلاس ماكى
الأستاذ بكلية العلوم الامبراطورية بلندن

العلم الحديث لا يتجاوز عمره أربعة قرون، أاالتغيرات التى نجمت عن تطبيقه لم تتغلغل فى حياة الناس اليومية إلا فى الأعوام المائة الأخيرة. ولكن فى هذه القرون الأربعة كان علماء غربى أوربا يحشدون ويبوبون قدرا ضخما من المعارف الجديدة المتزايدة. وما جاء منتصف القرن التاسع عشر حتى كان العلم قد رسخت قواعده وتعمقت جذوره. فى هذه الحقبة الطويلة من التطور لعبت بريطانيا دورا بارزا.

فى موجز حديث لتاريخ العلم ألفه أحد كبار المؤرخين العلميين يتضح أنه فيما بين سنتى ١٥٠٠ و١٨٥٠ أنتجت بريطانيا ٦٨ عالما من قادة العلم فى العالم، بينما أنتجت فرنسا ٤٨ عالما وألمانيا ٣٠ عالما. أى أن أيادى بريطانيا على العلم تتفوق عددا على أية مملكة أخرى وأنها أكثر من ضعف ما أنتجته ألمانيا.

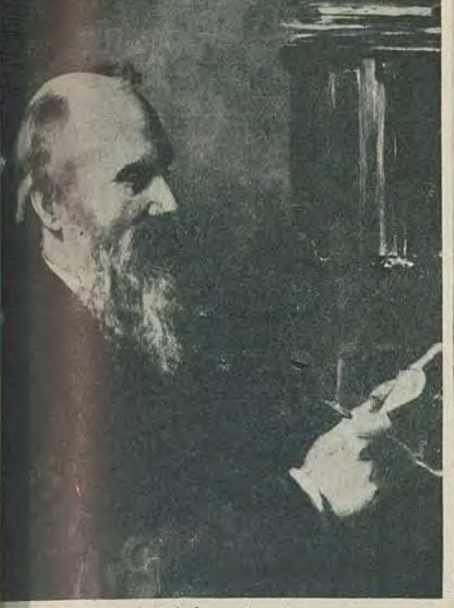
والقائمة المتضمنة لأسماء العلماء البريطانيين تحتوى بالطبع على اسم رجل يجمع الكل على أنه أعظم عالم ظهر فى أى عصر، ألا وهو إسحق نيوتن (١٦٤٢—١٧٢٧). وفيها أيضا اسم أكبر عالم بيولوجى فى الدنيا كلها، تشارلز داروين (١٨٠٩—١٨٨٢). كما تحتوى على اسم مكتشف الدورة الدموية وليم هارفى (١٥٧٨—١٦٥٧). واسم مدخل التحسين على الآلة البخارية جيمز وات (١٧٣٦—١٨١٩). ومؤسس النظرية الذرية الكيميائية جون دالتن (١٧٦٦—١٨٤٤). ومكتشف التوصيل الكهربائى المغناطيسى الذى كانت له أعظم الآثار على تطور



أعلى إلى اليمين : وليام هارڤى، طبيب إنكليزى . أعلى إلى اليسار : ميخائيل فاراداى، مهندس كهربائى . أسفل إلى اليمين : جيمز واط، مهندس اسكتلندى . أسفل إلى اليسار : سير إسحاق نيوتن .



جون ناپير المرخستونى .



و . تومسون، لورد كلفان.

القوة الكهربائية، وهو ميكائيل فرداى (١٧٩١–١٨٦٧) . ثم ذلك العبقرى الفذ الذى برز فى الرياضيات الصعبة المعقدة كما برز فى مضمار الاختراع الآلى، وليم طمسن الذى صار اللورد كيلفن (١٨٢٤–١٩٠٧) .

ومن الشائق أن نلاحظ أن علماء بريطانيا كانوا على وجه العموم رجالا اهتموا بالتجربة أكثر مما اهتموا بالنظريات . ونيوتن نفسه كان يبذل جهده ليتجنب الوقوع فى حبائل نظرية تتجاوز حدود ما تبرره الحقائق المعروفة . كما أن جوزيف بلاك كان يحتقر النظريات كلها جميعا، وبلاك هو الرجل الذى قام باكتشافات تجريبية فى علم الحرارة مكنت وات من اختراع المكثف المنفصل الذى أدخل التحسين على الآلة البخارية .

ليس معنى هذا أن كل رجال العلم فى بريطانيا يحتقرون النظريات، بل أنهم لايسمحون للنظريات بأن تلعب أكثر من دورها المشروع . ففيهم ميل إلى الحقائق، وتفضيل للتجربة، وشغف بالعملى . وقد كان

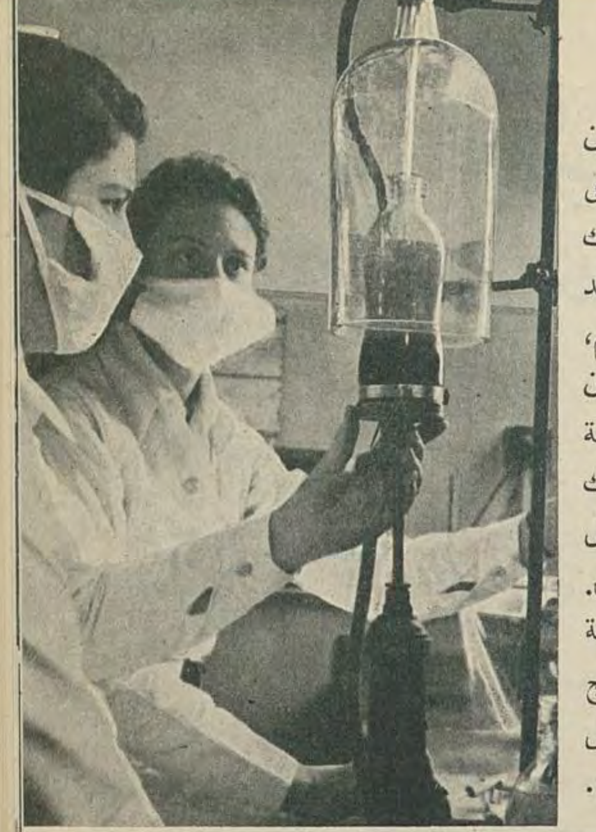
اللورد كيلفن مثلا لهذا، فى شغفه بصنع نموذج آلى عملى لتوضيح نظرية من النظريات، بحيث تتجسم لك النظرية إذا ضغطت على الزر! وكذلك كلارك مكسويل كان دائما يريد أن يعرف التطبيق العملى لكل شيء. ونفس هذا الميل إلى ما هو عملى يتبين فى تشبيه هارفى للصمامات فى الجهاز الدموى بألسنة مضخة الماء. كما يتجلى فى العبقرية العملية لجون نابيير اف مرخستن (Napier of Merchiston) (١٥٥٠—١٦١٧)، الذى اخترع اللوغارتمات ووفر بذلك على الفلكيين أعواما طويلة من العناء. وكذلك يتبين فى عبقرية روبرت هوك (١٦٣٥—١٧٠٣) الذى اخترع عددا عظيما من الآلات والذى كان يمدح بأنه «أعظم ميكانيكى فى زمانه».

ومما يطلعنا على الميزة الخاصة للتناول البريطانى للعلم، تلك الآراء التى أبداها الكاتب المشهور فرانسس بيكن (١٥٦١—١٦٢٦)، ففى دنيا العلم الجديدة فى القرن السابع عشر اهتم بيكن بالبحث فى الكيفية التى يستطيع بها الناس معالجة الطبيعة حتى يكتشفوا قانون سيرها وعملها. فلم تكن لبيكن آراء بعيدة فى طبيعة العلم وأغراضه، بل اعتقد أن العلم لا يرمى إلا إلى «تحسين حالة الانسان وزيادة سيطرته على الطبيعة» وأن الطبيعة بهذا «ينتهى بها الأمر إلى أن تخضع نوعا ما وتمد الانسان بخبزه، أى أنها تخضع لمنفعات الحياة الانسانية».

فى سنة ١٩٤٠ واجه الشعب البريطانى بمفرده مستقبلا كالحا عبوسا، وترقب هجمات عدو لدود مجهز تجهيزا علميا. ولو أن الشعب البريطانى فكر فى هذا الموضوع حينئذ لوجد داعيا إلى الطمأنينة والوثوق فى تراثه الذى آل إليه فى قرون أربعة من الاكتشاف العلمى والاختراع العلمى. وإذن لجاءت الحوادث مصدقة لهذا، فان رجال العلم فى بريطانيا قد هزموا اللغم المغناطيسى، واخترعوا الطريقة اللاسلكية التى يتعرف بها على مكان الطائرات المهاجمة، واكتشفوا منافع البنسلين، وتغلبوا على الغواصات التى هددت الشعب البريطانى بالهلاك

جوعا فى عقر داره . هذا الشعب نفسه، إذا تدبر الاستعمال الواسع لنقل الدم فى الجراحة الحديثة، والعدد الذى لا يحصى من الجرحى الذين أنقذوا بذلك من الموت، فقد يتذكر أن أول من بدأ التجارب فى ميدان نقل الدم كان رجلا انكليزيا من مقاطعة كورنوول، وهو رتشارد لووَر (Lower) (١٦٣١—١٦٩١) . كما أن الشعب البريطانى فى هذه الأوقات استخدم للمنفعة الانسانية تلك القوانين المتعلقة بالزراعة و إنتاج الحيوان التى كانوا هم أول من بحثوها بحثا ناجحا، فاستطاعوا بذلك أن ينتجوا بأنفسهم جزءا كبيرا من طعامهم فى داخل بلادهم فيوفروا بذلك سفنا كثيرة كانت تستخدم فى استيراد الأطعمة فأصبحت تستخدم فى استيراد الذخائر الحربية . ثم إنهم يتذكرون أن موقعة بريطانيا الجوية قد تم النصر فيها ليس فقط بفضل مهارة طياريهم وشجاعتهم المنقطعة النظير، بل أيضا بفضل البناء الفائق الجودة للطيارات التى اقتحموا بها معمعة القتال .

إن مؤرخ المستقبل، حين يرجع بفكره إلى تلك الفترة فى سنة ١٩٤٠، قد يحق له أن يعتبر تلك السنوات الأربعمائة من التحصيل العلمى أحد العوامل التى ضمنت لبريطانيا النصر النهائى فى الحرب العالمية الثانية . فان شعبا وراءه أربعة قرون من التراث العلمى، تفوق به على الشعوب الأخرى وفضل فيه الحقائق على النظريات غالبا — إن شعبا هذا شأنه من المستبعد أن تحيق به الهزيمة . ثم إن قراء ذلك التاريخ فى المستقبل قد يحق بهم أن يشعروا بالشكران أن قد منح نيوتن أبناء وطنه قصب السبق فى العلوم الطبيعية، وانه فى الأعوام الثلاثمائة التى مرت منذ عصره ما برح الشعب البريطانى مجليا فى هذا الميدان .



قام العلماء البريطانيون بأعمال معدومة النظير فى ميادين كثيرة . من ذلك مثلا أن آلاف الأنفس قد أنقذت بطريقة تحويل الدم، ويرى إلى اليسار ممرضتان تفرزان الأنواع المختلفة « لبلازما » الدم . كذلك قدم العلماء يد المعونة إلى الفلاح فى أوربا وفى الشرق. وإلى أسفل صورة مزرعة فى موسم الحصاد؛ وتنتج المزارع البريطانية أعلى محصول فى العالم للفدان .

تعليم الكبار

بقلم ا. ى. عمون

يستعمل اصطلاح تعليم الكبار فى إنكلترة للتعبير عن جميع الوسائل التى تتبع لتوسيع مدارك العمال من الرجال والنساء على السواء. ولا يشمل هذا التعبير الكبار على وجه عام بل أولئك الذين منعتهم أعمالهم وظروفهم الخاصة من الالتحاق بالجامعات وغيرها من معاهد التعليم العالى. وهو يطلق بوجه خاص على الأشخاص الذين يرغبون فى الدراسة والتعليم فى أوقات فراغهم.

وينقسم تعليم الكبار إلى قسمين. قسم يتعلق بتعليم الحرف فى مدارس الفنون والصناعات وهو خاص بالعمال الذين يرغبون فى الحصول على معلومات فنية فى أعمالهم التى يقومون بها لكى يستطيعوا شغل مراكز أفضل وتقاضى أجور أعلى. والقسم الثانى — وهو ما خصصنا له هذا المقال — يتعلق بتعليم الرجال والنساء الذين يرغبون فى توسيع مداركهم وجعلها أقدر تفكيرا وأكثر فهما، ومن ثم يصبحون أعضاء أكثر نفعا وأوفر سعادة فى المجتمع الانسانى.

وتعليم الكبار بحالته الراهنة فى إنكلترة هو نتيجة جهود مشتركة قامت بها الدولة والسلطات المختصة والجمعيات الخيرية. فقد ساهم فى انتشار ذلك النوع من التعليم واتساع نطاقه بالكيفية التى هو عليها الآن عدد كبير من الأشخاص والجماعات. فمن أول المشروعات التى نفذت فى هذا السبيل إنشاء مدارس لتعليم الكبار. وقد افتتحت أولى هذه المدارس فى مدينة نوتنگهام (Nottingham) سنة ١٧٩٨. ثم افتتحت بعد ذلك مدارس أخرى على شاكلتها فى طول إنكلترة وعرضها كانت تدرس التعاليم الدينية والقراءة والكتابة والحساب. ولا تزال

هذه الحركة العلمية قائمة إلى وقتنا الحاضر باسم (الاتحاد الوطنى لمدارس الكبار) وهو يضم الآن أكثر من ألف مدرسة من هذا النوع .

ومن الحركات العلمية الهامة الأخرى الحركة المعروفة باسم الفصول الجامعية الاضافية . وقد تم بموجبها الاتفاق مع جامعتى أكسفورد وكمبريدج أولا، ثم مع عدد آخر من الجامعات بعد ذلك، على أن تسمح لأساتذتها ومدرسيها بالتعليم فى الخارج، بأن يقوموا بالقاء المحاضرات العلمية وعقد الفصول الدراسية والاشراف على التمرينات الكتابية والامتحانات التى تعقد للطلبة بعد ذلك .

وفى سنة ١٩٠٣ تألفت جمعية (تعليم العمال) التى ترمى قبل كل شىء آخر إلى تعليم الطبقات العاملة . وكان إنشاؤها بلا ريب عاملا من أهم العوامل المساعدة فى إقامة صرح حركة تعليم الكبار فى إنكلترة . فقد زاد نفوذ هذه الجمعية بسرعة عظيمة وحظيت من اكتتابات الجماهير بمساعدات مالية سخية مكنتها من إنشاء فصول تدريبية إلى جانب المحاضرات الجامعية المنظمة . وكانت هذه الفصول التدريبية أول خطوة عملية فى تكييف حركة تعليم الكبار بشكل جديد جعلها تنتشر فيما بعد فى أنحاء الممتلكات البريطانية المستقلة وفى الولايات المتحدة الأمريكية . ووجهت الجمعية اهتمامها كذلك إلى تعليم النساء فأنشأت لهن فصولا خاصة .

ومن الجدير بالذكر أن نشاط هذه الجمعية قد انتشر الآن فى جميع أنحاء البلاد حتى لقد أصبحت تضم فى الوقت الحاضر أكثر من ألفى فرع تابع لها .

تلك هى بعض العوامل العديدة الفعالة التى ساعدت على تطور حركة تعليم الكبار فى إنكلترة . ويجدر بنا الآن أن نلقى نظرة عامة على الأوضاع الرئيسية لهذه الحركة فى إنكلترة فى الوقت الحاضر . هناك أولا الفصول الخارجية المختلفة التى تهيئها الجامعات . ولكل من يود الانتساب إلى هذه الفصول أن يفعل ذلك على شرط أن يكون مستعدا لحضور منهاجها كاملا، وتأدية الواجبات الكتابية، حتى لا يلتحق بها سوى

على : طلاب يتلقون طريقة تصليح الأحذية فى فصل من فصول مدرسة
لية . أسفل : بنات يتلقين فى قسم ليلى دروسا فى الطهى والتدبير المنزلى.

أعلى : أولاد يشتغلون فى نموذج مصنوع على مقياس رسم فى كلية هندسة معمارية .
أسفل : طلاب فى كلية فنون تطبيقية يتعلمون الهندسة والرسم الهندسى .

الراغبين فيها فعلا . وفى سنة ١٩٣٧—١٩٣٨ كان عدد الملتحقين بهذه الفصول لا يقل كثيرا عن عشرة آلاف طالب . ومستوى برامجها الدراسية يضارع مستوى درجات الشرف فى الجامعات بل ربما كان أعلى من ذلك أحيانا . وعلى الطلبة أن يؤدوا أعمالهم الدراسية فى الفصول وأن يقوموا بكتابة موضوعات فى مواد دراساتهم المختلفة، بيد أنه لا تعقد لهم امتحانات ولا تمنح لهم شهادات .

وإلى جانب البرامج التى تنظمها الجامعات أو الجمعيات المعترف بها، وهى البرامج التى تستغرق مدة تتراوح بين سنة وثلاث، سنوات، توجد أيضا مناهج دراسية أقصر أجلا تخصص لها فصول وتلقى فيها محاضرات فى موضوع معين . وهناك نوع آخر من المناهج مشهور جدا، ألا وهو الفصول الصيفية التى تعقد خلال عطلة الصيف وتزود الطلبة بمناهج يومية وافية تتراوح مدتها بين أسبوعين وستة أسابيع . ويلتحق بهذه الفصول الطلبة الذين يدرسون أى منهاج من مناهج (تعليم الكبار) تعترف به وزارة المعارف . ولا ريب فى أن أسبوعا أو أسبوعين تقضى فى هذه الفصول الصيفية تعود بفائدة كبرى على الطالب الذى لم يكن يستطيع الدراسة من قبل إلا فى أوقات فراغه . بل ويستطيع الطلبة فى دراساتهم الصيفية أن يقطعوا شوطا كبيرا فى المواد التى يتعلمونها لا يتسنى لهم قطعه أثناء دراستهم فى أوقات فراغهم فقط .

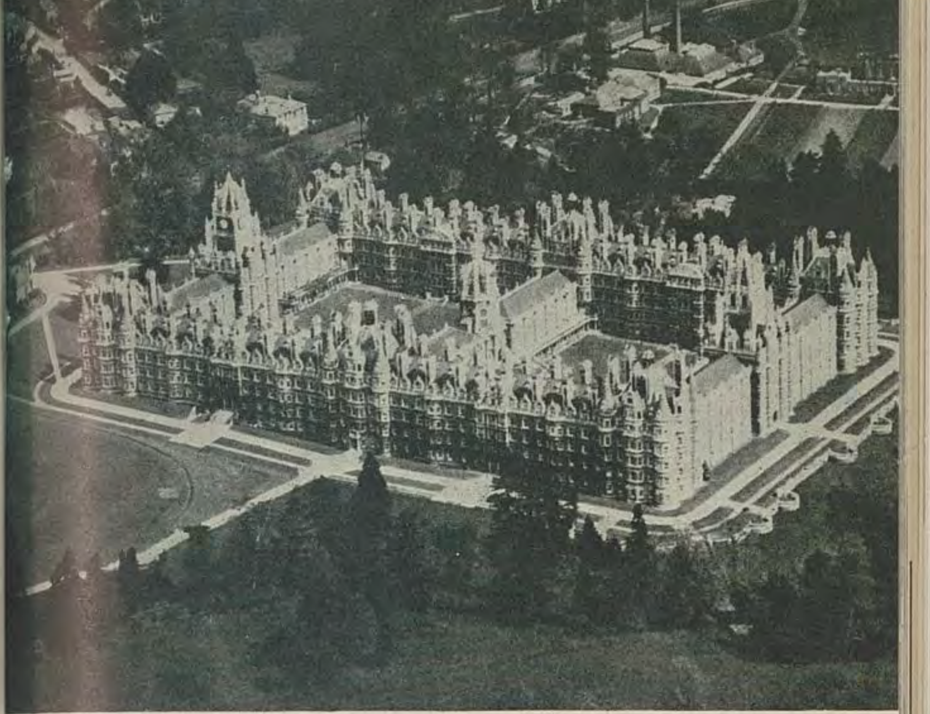
ومن النظم الأخرى فى تعليم الكبار ما يسمى بحلقات الدرس . وهى تتألف من مجموعات صغيرة من الطلبة يجتمعون بانتظام فى مواعيد معينة تحت إشراف أحد المدرسين لدرس موضوع من المواضيع والمناقشة فيه .

وهناك أيضا نظام التعليم بالمراسلة وقد وضع للطلبة الذين لا يستطيعون لسبب من الأسباب حضور الفصول الدراسية . فترسل للطالب واجبات دراسية بطريق البريد للاجابة عليها حتى إذا فعل ذلك أرسلها إلى مدرسه لتصحيحها وإبداء ملحوظاته عليها ثم يعيدها المدرس بدوره إلى الطالب .



نظر تاريخى عندما احتفل مستر آيمرى بانشاء الجوائز الدراسية المجانية) للغات الشرقية بجامعة لندن .

ولما كان الشطر الأكبر من نظام تعليم الكبار معدا لأولئك الذين لا يستطيعون الدراسة إلا فى أوقات فراغهم فقط نظرا لأعمالهم الخاصة فقد أنشئت فى القرن الحالى عدة كليات داخلية يتلقى فيها الرجال والنساء على السواء مناهج نظامية كاملة تستغرق فى العادة سنة كاملة . وتوجد فى بريطانيا الآن تسع كليات من هذا النوع أنشئت كلها نتيجة جهود تطوعية محضة ولا تزال تتلقى مساعدات مالية كبيرة من الأفراد . وقد وضعت مناهج هذه الكليات لمنفعة الأشخاص الذين لا يستطيعون حضور مناهج جامعية كاملة ولكنهم فى نفس الوقت يريدون الالمام بشىء عام من التعليم العالى قبل الالتحاق بأعمالهم الخاصة فى الحياة . وتدرس فى هذه الكليات مواد مختلفة، منها العلوم الاجتماعية، والآداب، والتاريخ، والفنون، والموسيقى . ويلتحق بها طلبة من مختلف أنواع الحرف والمهن كعمال المناجم وبنائى السفن وغير ذلك .



منظر جوى لكلية هولواى فى إگهام، وهى مدرسة لتدريب كبار الطلاب .

ومن النظم الأخرى فى تعليم الكبار نظام لم يتطور بعد تطورا كاملا، ألا وهو ما يسمى بكليات القرى . والغرض منه القيام بجهود اجتماعية وتعليمية فى المناطق الريفية، ومحاولة ربط سكان منطقة ريفية بأكملها بعضهم ببعض من الناحية الثقافية . ومن أهم المصاعب التى تعترض طريق هذا النظام توفير وسائل النقل لاحضار العمال من المناطق المتطرفة إلى الكلية المركزية حيث يؤمون فصولا تعليمية ويحضرون ألوانا من وسائل الترفية والترويج عن النفس كالحفلات الموسيقية والتمثيليات المسرحية .

ويجدر بنا الآن أن نتساءل عمن يقوم بالانفاق على هذه المشاريع العظيمة المتعددة، كمصاريف تنظيم الفصول التعليمية، ودفع أجور المدرسين، إلى غير ذلك .

تدفع هذه المصاريف أحيانا من إيرادات المنطقة المحلية، أو من الهبات

والمنح التى يأمر البرلمان بصرفها لوزارة المعارف . وتقوم السلطات التعليمية المحلية فى معظم الأحيان ببعض أو بجميع نفقات الهيئات التطوعية التى تنظم الفصول الدراسية . على أن شطرا عظيما من الجهود التى تبذل فى سبيل تعليم الكبار إنما يقوم به المتطوعون من الأفراد دون أن يتقاضوا على ذلك أجرا . زد على ذلك أن الأمناء الماليين للشركات والجمعيات الكبيرة يمدون هذه المشاريع بمساعدات مالية قيمة .

ومن الأمور الجوهرية فى نشر التعليم وجوب وجود أكبر عدد ممكن من المكتبات المستوفاة . وفى إنكلترة توجد المكتبات العامة فى جميع أنحاء البلاد وتتبادل هذه المكتبات ما لديها من مختلف أنواع الكتب وبذلك يستطيع الطالب الحصول على أى كتاب أراد الاطلاع عليه .

ومن الجدير بالذكر أن مشروع تعليم الكبار قد قطع شوطا كبيرا فى طريق التقدم خلال سنى هذه الحرب . فقد أبدت الحكومة البريطانية

البناء الجديد لمدرسة الطب فى برمنگهام .



من الاهتمام بهذا المشروع والعناية به ما لم تبده قط من قبل . فهيأت لعدد كبير من البحارة ورجال الطيران فرصة الالتحاق بالجامعات لدراسة مناهج كاملة تستغرق ستة شهور. ومن المعاهد العظيمة التى أنشئت أيضا مجلس تشجيع الموسيقى والفنون . وهو مجلس تنفق عليه وزارة المالية وتقوم بجميع نفقاته، وقد منحته فى سنة ١٩٤٢—١٩٤٣ مبلغ مائة ألف جنيه . وأنشىء فى زمن الحرب أيضا عدد كبير من منتديات البحث والمناقشة فى المصانع . وهذه المنتديات تهيىء للعمال فرصة تبادل الآراء فى شتى المواضيع الهامة كشئون التعليم، والصحة، والعلاقات الخارجية، ومشاكل السلم .

وحدث فى أثناء الحرب أيضا تطور آخر على جانب عظيم من الأهمية فى نظام تعليم الكبار. إذ لا يخفى أن دراسات عدد كبير من الرجال والنساء قد تعطلت بسبب الحرب، فتصدى مجلس الجيش لهذه المشكلة، وألف هيئة تعرف باسم (مكتب الجيش للشئون العامة) . ويؤدى هذا المكتب خدمات جليلة فى نشر المعارف بالشئون اليومية العامة بين المحاربين من الرجال والنساء، بما ينظمه من محاضرات تعقبها مناقشات يسمح فيها للحاضرين أن يبدوا آراءهم بصراحة تامة وأن يسألوا المحاضر كل ما عن لهم من أسئلة .

ومن النواحى الهامة فى تعليم الكبار استخدام الراديو فى هذا الصدد، فقد ألفت مجموعات للاستماع إلى الأحاديث التى تذيعها محطة الاذاعة البريطانية ثم تتخذ تلك الأحاديث بعد ذلك موضوعا للبحث والمناقشة .

ومن الأمور الواضحة الجلية أن لتعليم الكبار فى إنكلترة مستقبلا زاهرا عظيما، بل إن عددا كبيرا ممن يهمهم هذا الأمر يفكرون منذ الآن فى كيفية النهوض بهذا المشروع بعد الحرب والسير به خطوات واسعة إلى الأمام . على أن ما هم فى حاجة إليه هو الحصول على معونة حكومية أكبر، لتهيئة أمكنة أفضل، وتعيين عدد أكبر من المدرسين

والموظفين اللازمين لهذا المشروع الكبير . ومع هذا فقد تم الاتفاق على الاحتفاظ بمبدأ التطوع فى هذه المشاريع، فضلا عن قيام الحكومة بتزويدها بالاعانات المالية اللازمة . ولسنا نستطيع أن نتحدث عن مستقبل تعليم الكبار فى إنكلترة بأفضل مما جاء فى « الكتاب الأبيض » الذى أصدرته الحكومة البريطانية بشأن إعادة النظر فى نظام التعليم وقد صدر فى شهر يوليه سنة ١٩٤٣ . وإليكم فقرة مما جاء فيه :

«لن يتم نظام التعليم الوطنى دون النص على العناية بتعليم الكبار . . . فمقياس نجاح التعليم فى الصغر يتوقف على المدى الذى يواصل فيه الطالب التعليم طوعا بصورة من الصور فيما بعد ذلك . إذ أن التلميذ أو الطالب لن يستطيع المساهمة فى شئون الحياة بصورة كافية تمكنه تمكينا كاملا من تهيئة نفسه لخدمة المجتمع إلا إذا بلغ سن النضوج . وعلى هذا ففى داخل نطاق واسع لمشروع تعليم الكبار يتوقف تدريب الناس نهائيا على الحياة الديمقراطية . »

ولا ريب فى أن دراسة الجهود التى بذلتها إنكلترة فى سبيل تعميم نظام تعليم الكبار هو عامل مساعد عظيم الأهمية للدول الأخرى التى ترغب فى إنشاء نظام مماثل . ومع ذلك فلكل دولة من الدول مطالبها وأغراضها التى تريد تحقيقها، وقد تكون لها وسائلها الخاصة فى الوصول إلى تلك الأغراض والأهداف . على أن هناك ناحية معينة من نواحى تطور تعليم الكبار فى إنكلترة ذات فائدة خاصة للبلاد العربية . وأعنى بذلك الجهود التى تبذل فى المناطق الريفية . وذلك لأن معظم سكان البلاد العربية يحصلون على أرزاقهم من فلاحة الأرض . ففى المناطق الريفية بانكلترة تدرس مثلا بعض المواد العملية كالتدبير المنزلى، والأشغال اليدوية، وقانون الصحة . وهناك عامل آخر ساعد على انتشار نظام تعليم الكبار فى المناطق الريفية، ألا وهو افتتاح مجالس المديريات فروعا لمكتباتها العامة فى القرى . وبذا وجد سكان تلك المناطق النائية، الذين لم يكن فى استطاعتهم من قبل الحصول على كتاب من الكتب،

مكتبة فى قريتهم نفسها ينتفعون بها ويغترفون من حياضها . وكان من أثر ذلك أن زاد عدد قراء الكتب فى الريف زيادة عظيمة . ومن أمثلة ذلك أن عدد الكتب التى أعيرت للقراء فى إحدى المقاطعات الريفية قفز دفعة واحدة من خمسة عشر ألف كتاب فى سنة ١٩٢٦—١٩٢٧ إلى مائتين وخمسين ألف كتاب فى سنة ١٩٣١—١٩٣٢ .

أما استعمال الراديو فى إنكلترة فقد عاد كما نوهنا من قبل بفوائد جليلة على انتشار التعليم . فقد نظمت فى جميع أنحاء البلاد طوائف من الناس للاستماع إلى الأحاديث الجدية التى تبحث فى المشاكل العامة . وبذلك أقبل الناس فى طول البلاد وعرضها على الاهتمام بالمواضيع التى يجب أن يلم بها كل إنسان . أضف إلى هذا أنه من الممكن استغلال الراديو كذلك استغلالا عظيما فى البلاد العربية لتثقيف الكبار وتعليمهم، فهو وسيلة من أرخص الوسائل وأعظمها أثرا فى نشر التعليم، إذ يمكن بشىء من النظام تأليف جماعات للاستماع بانتظام إلى الراديو فى المدن والقرى على السواء . وهذا يؤدى إلى زيادة اهتمامهم بشئون العالم ومشاكله . زد على ذلك أنه من الممكن دعوة المتبحرين فى علوم التاريخ

الكبار والصغار يرقون عقولهم بما يطالعونه فى المكتبات .



والسياسة العالمية والآداب إلى إلقاء محاضرات فى المواد التى توافروا على دراستها لمنفعة جماهير الناس .

ومن الفوائد الجليلة التى يتمخض عنها هذا النظام تدريب الناس على الاشتراك فى مناقشات حرة مفيدة يتخذون فيها موضوع الحديث الذى أصغوا إليه مدارا لبحثهم وجدلهم .

وهناك نظام آخر يلائم البلاد العربية أيضا ويعود عليها بالنفع الجزيل، ألا وهو تنظيم محاضرات تلقى فى القاعات العامة ويسمح للجمهور بحضورها . ويمكن أن يقوم بالقاء هذه المحاضرات أساتذة ومدرسون من مختلف الجامعات والكليات العلمية أو أقطاب الأدب والسياسة والعلوم وغير ذلك .

وهنا يجدر بى أن أنوه بالخطوات الواسعة التى قطعتها البلاد العربية فى نشر العلوم والمعارف بين ربوعها خلال السنوات القلائل الماضية . فقد افتتحت المدارس والكليات فى جميع أنحاء تلك البلاد، وأخذ آلاف من الطلبة العرب يتدفقون فى كل عام على الجامعات الأوربية للاغتراف من مناهل العلم فيها، بينما أخذت الحاجة فى البلاد العربية نفسها تدعو بصورة مطردة إلى رفع المستوى العلمى للمدرسين مما أدى إلى إدخال عدد كبير من وسائل التعليم الحديثة . على أن نظام تعليم الكبار لم ينل فى تلك البلاد بعد ما يستحقه من عناية واهتمام، ولكنى لا أكون مغاليا إذا قلت إن بلدان الشرق الأدنى لن تتأخر كثيرا عن إنكلترة وغيرها من الدول الأخرى، فى العناية بهذا المشروع الهام الذى يرمى إلى تعليم الرجال والنساء ورفع مستواهم العقلى، كى يشتركوا اشتراكا صحيحا نافعا فى حياة بلادهم من الوجهتين السياسية والثقافية . ولا يخفى أن الديمقراطية الصحيحة فى دولة من الدول معناها وجود حكومة من الشعب تعمل لمصلحة الشعب . ولا شك فى أن هذه الحكومة تكون أكثر ديمقراطية وأفضل نفعا كلما زاد عدد أفراد الشعب الذين يساهمون مساهمة فعالة كاملة فى حياة بلادهم العلمية والثقافية .

الكندى

فيلسوف العرب والعالم الطبيعى الفذ

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمى

انتقال الفلسفة اليونانية إلى العرب : كانت الفلسفة اليونانية معروفة قبل العرب عند السريان، فهم الذين حفظوا كتب الأوائل فى أديارهم، وسعوا لفهم منطق أرسطو وتأويل حب أفلاطون، لتوطيد دعائم كنيستهم، ولكنهم كانوا نقلة أمناء، ولم يكونوا بقادرين على أن يبرزوا شيئا جديدا للوجود، فللعرب الفضل فى ترقية علوم اليونان، والفضل الأكبر يرجع إلى ذلك الحكيم الخالد يعقوب بن إسحق الكندى الذى يدعى فيلسوف العرب لأنه أول عربى قام فى دراسة الحكمة القديمة. وإنه من الاجحاف للحقيقة أن نتكلم عن فلسفة عربية أو بالأحرى إسلامية دون أن نتطرق إلى هذا الفيلسوف الفذ.

حياة الكندى : لا نعرف شيئا كثيرا عن حياة يعقوب بن إسحق الكندى، شأن كثيرين من العلماء الكبار الذين كانوا لا يعطون كبير أهمية لحياتهم الشخصية، وإذا درسنا تاريخ الحكماء لابن القفطى، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة، وفهرست ابن النديم، وأخبار البيرونى المبعثرة، وخاصة كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر (الذى اتخذه مؤلف هذا الموضوع منبع حكمته لأطروحة الدكتوراه)، نستنتج أن الكندى كان من أصل عربى صميم من جنوب الجزيرة العربية ينتمى إلى

قبيلة كندة، تلك القبيلة التى أنجبت كبار الرجال . كان الصباح جد الكندى يتولى شراء الجواهر من جزيرة سرنديب لهارون الرشيد، وكان إسحق أبوه عاملا على الكوفة، وولد الكندى نفسه فى البصرة . أما عن تاريخ مولده فلا نعلم شيئا، وجل ما نعلم عن هذا الفيلسوف أنه كان يتردد على بلاط الخلفاء العباسيين ، واشتغل منقعا للفلسفة اليونانية، ومربيا لأولاد الخلفاء — المأمون والمعتصم والمتوكل — هذا كل ما نعرفه عن حياته . ولكن كيف كانت سيرته؟ كيف كانت تربيته؟ كيف كانت معاشرته؟ كيف كانت معاملته؟ كل ذلك لا نعلم عنه شيئا . ويذكر لنا البيرونى فى الكتاب السابق الذكر حكاية تدل على صلة فيلسوفنا بالبرامكة، وأنه كان قبل نكبتهم يافعا لا شأن له، ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه كان لا يزال حيا حتى قبل قتل المتوكل بشهرين، ذلك الخليفة العباسى الذى اضطهد الكندى بناء على الوشايات التى سمعها عنه اضطهادا عظيما . ويقول ابن النديم فى كتاب الفهرست إن أبا معشر درس على الكندى الفلك وهو فى السابعة والأربعين من عمره، و إذا علمنا أن هذا التلميذ كما جاء فى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء بلغ من العمر مائة عام، وتوفى فى آخر رمضان سنة ٢٧٢ هـ . (٨٨٦ م .)، فانه يكون قد اجتمع مع الفيلسوف عام ٢١٩ هـ . (٨٣٤ م .) . أما بقية النقاط من حياته فلا تزال غامضة .

حتى الجاحظ الذى كان معاصرا للكندى، والذى لا بد أن تقابل معه فى بلاط الخلفاء، لا يذكر لنا عنه إلا شيئا طفيفا، وقد يأخذ بنا العجب، كيف سكت الجاحظ عن الكندى مع أن ذلك الأديب قد كتب عن كل شىء، وقد تطرق أيضا إلى بعض الموضوعات التى تطرق إليها فيلسوف العرب، ولم نعثر إلا على ملاحظة واحدة عن الجاحظ الكندى وذلك فى كتاب البخلاء، متهما إياه بالبخل وقاصا عنه حكايات مضحكة . وسواء أكان الكندى كريما أم بخيلا، فاننا نستدل هنا على المنافسة بين الرجلين ، وعلى سيطرة روح عدم التلاؤم التى كان مبعثها الاختلاف بين المزاجين : فمن يراجع كتب الكندى يجد الرزانة غالبة على طبعه، يكره حشو

الكلام، رياضى التفكير، محبا للتنسيق، بعيدا عن التهكم، لا يحب أن يحيد عن الموضوع، ومن كانت هذه صفته كان بعيدا عن روح الجمهور. وإذا دققنا فى آثار الجاحظ وجدنا أنه رغم تفكيره العميق لا يثبت على فكرة واحدة . نعم إنه كان يستند على المنطق والمشاهدة فى جزئيات الأمور، ولكنه فى كلياتها كان بعيدا عن روح التنسيق، كثير التهكم، محبا للانتقال . وإذا أمعنا النظر فى هذين المزاجين وجدنا الفرق بينهما واسعا، ولا يمكن حصول روح التلاؤم بينهما بحال من الأحوال . فلا غرابة إذن من طعن الجاحظ فى الكندى، ولعل عدم إكثاره فى ذلك لاقتناعه بكبر شخصيته وعظم منزلته . ومهما يكن الاختلاف بين الجاحظ والكندى كبيرا فانهما كانا قطبين مختلفين كونا تلك الحركة الفكرية الهائلة فى الشرق الاسلامى، كما يكون القطبان الايجابى والسلبى التيار فى العمود الكهربائى . فالكندى هو أول من صهر ببوتقة فكره مآثر العرب وحكمة أثينة فأسطع شمسا جديدة فى سماء الشرق، فتأثيره إذن كان على رزينى الفكر، أما الجاحظ فبانتقالاته من موضوع إلى موضوع وإكثار المزح فى كتاباته مع شديد تعطشه للمعرفة وكشفه عن غوامض الطبيعة، أيقظ الروح العلمية فى الناس، لا فى العلماء فحسب بل عند العامة أيضا . وقد أثر هذان العالمان فى تلك الجمعية العلمية «إخوان الصفاء» التى تأسست فى البصرة فى القرن العاشر للميلاد، وهذه الجمعية على زعم بعض المحققين لا يعرف التاريخ لها مثيلا . وقد سبق لمحرر هذه الأسطر قبل اثنى عشر عاما البحث عن أهمية علومها الطبيعية فى مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق .

وكما أن مولد الكندى مجهول، كذلك يوم أغمض عينيه إلى ألا بد لا يزال فى طى الخفاء . ولعله فى أخريات حياته اعتزل الناس كلهم وعاش فى زاوية من الزوايا المهملة، شأن الحكماء الزاهدين الذين يفتشون عن الحقيقة بكل قواهم النفسية لا يريدون جزاء ولا شكورا . ويرجح العلماء كما ذكر المستشرق الهولاندى دى بور (انظر الترجمة

العربية لأبى ريدة) أنه كان لا يزال حيا حتى بعد عام ٨٧٠ م . ويستنبط هذا التاريخ من رسالة للكندى فى علم أحكام النجوم .

هناك رواية عن الكندى أيضا، يقال عندما مدح أبو تمام الشاعر الشهير الأمير أحمد بن المعتصم بقصيدة سينية جاء فيها :

إقدام عمرو، فى سماحة حاتم، فى حلم أحنف، فى ذكاء إياس .

قال له أبو يوسف الكندى وكان حاضرا : الأمير فوق من وصفت، فأطرق الشاعر قليلا ثم أنشد :

لاتنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندى والباس :

فالله قد ضرب الأقل بنوره مثلا من المشكاة والنبراس .

ولا يبعد أن تكون تلك الرواية صحيحة بعد أن كشف بعض العلماء فى الآستانة مخطوطات للكندى مهداة إلى هذا الأمير .

فلسفة الكندى : ظهرت عبقرية الكندى للمرة الأولى بفهمه فلسفة اليونان فهما جيدا رغم جهله اللغة اليونانية، وهذا دليل على انطباعه على حب الفلسفة وجدى الأمور . أما فى التدقيق فى الطبيعة فماشى أرسطو ولكنه لم يقلده تقليدا أعمى بل دقق بنفسه، وأوجد آراء جديدة لم يعرفها حكماء اليونان، فالمواضيع التى طرقها دونت فى كتب تاريخ العلوم المتقدمة . بحث هذا المفكر الفذ فى مختلف المواضيع الفلسفية، ذاكرا المنهج العلمى الذى مشى عليه واضعا حدا فاصلا بين الحكمة والسفسطة . غير أن معظم الكتب الفلسفية له قد بقيت فى تراجمها اللاتينية فقط .

تتأسس فلسفة الكندى على الرياضيات والطبيعيات وتمتزج فيها الأفلاطونية الجديدة بالفثاغورية الجديدة، مستعملة قانون منطق أرسطو فى تفسير حوادث الكون وقوانينه . ونظرا لفكرة التناسب فى الاحساسات التى جاء بها هذا الفيلسوف العربى يعده كاردان أحد فلاسفة عصر النهضة فى أوربا، واحدا من اثنى عشر مفكرا من أنفذ المفكرين عقولا .

أما نزعة الاعتزال فهى ظاهرة فيه، فقد كان يقول بالعقل والتوحيد أيضا، ولكنه كان لا يعتمد على العقل وحده بل يترك مجالا للوحى

والنبوة . ورغم فكره النقاد فقد كان يعتقد بحسابات النجوم، ويقال إن حدسه عن عمر الدولة العباسية قد صدق . للكندى آراء فى الكون تشبه الأفلاطونية الحديثة : بأن الأعلى يؤثر فى الأدنى، وأى موجود من الموجودات فهو مرآة تنعكس فيها سائر الموجودات فى العالم. ويرى أبو ريدة المتقدم الذكر بأن هذه الفكرة تشبه فكرة الذرة الروحية لـ(لايبنيز) (Leibnitz) .

يقسم الكندى العقل إلى أربعة أقسام : العقل الذى هو بالفعل وهو العقل الأول ألا وهو الله، والعقل بالقوة، والعقل بالملكة، والعقل الذى به تبين النفس عما هو فيها بالفعل .

رغم هذا كله فالكندى يعد أرستطا ليسيا، لحذوه حذو أرسطو فى تأليفه فى الطبيعيات، فقد كان ينتقل من الجزئى إلى الكلى فى تدقيقاته شأن المعلم الأول . ويلومه صاعد فى كتابه طبقات الأمم باعتنائه بصناعة التركيب وإهماله صناعة التحليل، وفى الواقع أن الكندى اعتنى أيضا بصناعة التحليل ولكنها لم تبلغ شأنها كما بلغته فيما بعد .

اشتغال الكندى بالطبيعيات والرياضيات والفلك : اشتغل الكندى بالرياضيات، وفى مختلف المباحث الهندسية، والكريات، وأثبت أن جميع الأجرام السماوية كرية . دقق فى النجوم والكواكب وطبيعة الفلك، وكتب عن المناظر والأسطرلاب، وله بحث عن استخراج بعد مركز القمر عن الأرض . اشتغل فى معرفة عناصر الكائنات، ثم انتقل إلى البحار وفحص عن كيفية تكونها، وعلة المد والجزر والأجرام الغائصة فى الماء، والأجرام الهابطة . فكر كذلك بالأنواء وحدوث الرياح الزلزال، وعلة الرعد والبرق والمطر والضباب، وسخونة الجو وبرودته، وله مباحث قيمة عن مطارح الشعاع والمرايا والمحرقة .

إن ما يلفت نظرنا فى مباحث الكندى عدم تطرقه إلى الحيوان والنبات، ولا ندرى هل غفل عن هذين البحثين أم ضاعا بالمرة ؟ بيد أننا نجد بعض إشارات تدل على أنه كتب عن النحل وكرائمه، وعن

الحشرات وكذلك عن الخيل والبيطرة . وجل هذه المخطوطات كشفت من مدة قريبة فى خزائن مكاتب الآستانة .

أما فى الكيمياء فحسب ما ذكر لنا المسعودى فى مروجه، أنه وقف فى وجه من يدعى صناعة الذهب، وكتب عن خداع الكيميائيين واستحالة انقلاب العناصر، وعدم إمكان تقليد الطبيعة، وإن ولوج الكندى فى نظريات الكيمياء والرد على من يدعى إمكان استخراج الذهب من عنصر وضيع، لدليل كبير على أن قضايا الكيمياء كانت ولا شك قبل القرن التاسع الميلادى، خلاف ما يزعمه بعض البحاثين من أن الكيمياء وجدت فى الشرق الاسلامى فى القرن العاشر، فان عدم الاطلاع على مباحث الكندى ساق إلى هذا الظن الباطل. فالكندى كما أشار إليه المسعودى هو الذى وقف ضد نظريات الكيميائيين ورغما عن وقوفه ضد نظرية قلب العناصر، كان لا ينكر العمليات الكيميائية : كالتقطير والتحليل والتصعيد، تلك العلميات التى بحث فيها كثيرا جابر بن حيان وأبو بكر الرازى .

اعتنى بالكندى كثير من العلماء كـ(فلوجل) ناشر كتاب فهرست ابن النديم، وناجى الذى نشر بعضا من كتبه باللغة اللاتينية ودى بور الذى كتب عن فلسفته وغيرهم . وقد كانت مخطوطات الكندى فى زوايا النسيان لا يعرف منها إلا عدد طفيف فى مكتبة أكسفورد وبعض مكاتب القاهرة، ولكن الأوربيين كانوا لا يعرفون إلا الترجمة اللاتينية، وقد كان يظن أن ما قيل عن الكندى فيه شىء من الغلو، حيث يكاد لا يحيط بالمواضيع التى أحاط بها بشر، وأخيرا كشف هلموت ريتر فى إحدى مكاتب الآستانة عددا وافرا من مخطوطات الكندى التى توافق ما قرره المؤرخون، وإن إهداء الكندى بعض مخطوطاته للأمير أحمد بن المعتصم، كرسالة العناصر والجرم الأقصى كرى الشكل، لدليل على العلاقة الودية بين الأمير والفيلسوف كما سبق عند الاشارة إلى قصيدة أبى تمام .

وقد ساعد الحظ محرر هذه السطور واطلع فى إحدى مكاتب الآستانة

على مخطوطة عن كيمياء العطر القيمة التى فيها بعض الأعمال الكيميائية، التى بصورة توافق ماهى عليه اليوم من وجهة المبدأ . لدى قراءة هذه المخطوطة نجد أن الكندى لا يخلط النظريات الفلسفية فى العمليات، بل يهىء ما يحتاجه من الآلات والأدوات مع وصفه لكيفية العمل . يظهر لنا الكندى بذلك رجل عمل بحث، وفى ملحق كتاب درة الغواص للجلدكى المحفوظ بصفة مخطوطة بالمتحف البريطانى فى لندن وفى كمبرج وغوتا، بحث عن الأحجار الكريمة للكندى، ولدى التدقيق فى هذا المقال نجد ميل الكندى الرياضى فى ترتيب أصناف الأحجار. واطلع أستاذ «الفيزياء» الطبيعة فى جامعة عليكره فى الهند محرر هذه الكلمات، على مخطوطة للكندى عن مطارح الشعاع، كانت محفوظة فى مكاتب القاهرة، استحصل منها أخيرا على صورة فوطوغرافية لا تزال فى حوزته، وهذه المخطوطة كلها تدقيقات طبيعية وحسابات هندسية، ولكن المقدمة فيها مفقودة مع الأسف ولا نجد فيها غير ما يلى :

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، كتاب يعقوب بن اسحق الكندى فى الشعاعات، اطال الله بقاء امير المؤمنين وادام عزه وتاييده وفضائله وكمل سعادته واباد عدوه، إنه ليس بصغير الخطر على مخارج الشعاعات الشمسية وانعكاساتها عن الاجرام العاكسة لها والزوايا الحادثة عنها ونسب ابعاد النقط التى تنعكس لها والزوايا الحادثة عنها ونسب ابعاد النقط التى تنعكس اليها من الاجرام العاكسة من تذكية الانفس الانسانية وتهذيبها ورفع فكرها عن الاشياء البهيمية المعمية ابصارها، فان هذه خاصة جنس العلم به اعنى. . . (ونجد بعد ذلك نقصا كبيرا ، ثم يقول) : احرق بشعاع الشمس، وجب من هذه الجهة اثبات ذلك، فانه ممكن باضطرار، فنحن ناظرون فى ذلك بقدر ما يمكننا، واضعون لتهيئة ذلك مقدمات اشياء يسيرة نحن اليها مضطرون فيما نريد تهيئته بالمرايا . فهذا قول اثناميوس، وقد كان يجب على اثناميوس ان لا يقبل خبرا بغير برهان فى التعاليم وفى صناعة الهندسة خاصة،

ولا يوجب ايضا شيئا بغير برهان، وقد مثل كيف يعمل مرآة تنعكس منها اربعة وعشرون شعاعا على نقطة واحدة، ولم يبين كيف كون النقطة التى يجتمع عليها الشعاع على اى بعد شئنا من وسط سطح المرآة، ونحن ممثلون ذلك على اوضح ما يمكننا واقربه ومبينوه بالبراهين الهندسية، والجهة الاخرى التى نذكرها على اوضح ما تبلغه طاقتنا، ونتمم من ذلك ما كان ناقصا، فانه لم يذكر لنا بعد مفروضا، ونرتب ذلك بعد ان نأتى بموضع غايتنا نحن ليكون فهم ما قال سهلا على من احب فهمه من محبى التكثير فى المعلومات . » ثم يأتى بعد ذلك بالنظريات الشعاعية ويبرهنها بالبراهين الهندسية . وهذه المخطوطة القيمة لم يحط بها مصطفى نظيف بك علما، لأنها لم يذكرها فى كتابه الفذ عن الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه البصرية (القاهرة ١٩٤٢)، وذلك فى الفصل الذى عقده عن علم الضوء قبل عصر ابن الهيثم، ولقد قال عن الكندى إنه من أسبق العلماء وأخطرهم شأنا فى مباحث الضوء، وجل معلومات المدقق المصرى عن فيلسوفنا بشأن المادة التى يبحث عنها من ابن القفطى الذى يذكر له كتابى اختلاف المناظر واختلاف مناظر المرآة، ويقول أيضا إن له كتابا موجودا بنصه اللاتينى، أما عن هذه المخطوطة الثمينة فلم يتكلم شيئا .

هناك أيضا بعض مخطوطات عن الكندى فى مكتبة أكسفورد وخاصة عن علة لون السماء اشتغل فيها ويده مان (أستاذ الطبيعة «الفيزياء» فى جامعة ارلانجن) المتوفى منذ سنين قلائل والذى كان له فضل كبير على بحوث الطبيعيات العربية .

للتأكد من مكانة الكندى فى عالم العلوم الطبيعية، فلنسمع ما قاله عنه البيرونى الذى يعد من أعاظم مفكرى الاسلام، والذى احتفل المستشرقون البريطانيون بالاشتراك مع زملائهم العرب لمضى ألف سنة على ولادته، وذلك فى العام الماضى، يقول البيرونى : « ولم يقع لى فى هذا الفن غير كتاب أبى يوسف يعقوب بن إسحق الكندى فى الجواهر والأشباه، قد اقترع فيه عذرته وأظهر دورته كاختراعه البدائع فى كل

ما وصلت إليه يده من سائر الفنون، فهو إمام المجتهدين وأسوة الباقين. ثم مقالة لنصر بن يعقوب الدينورى الكاتب، عملها بالفارسية لمن لم يهتد لغيرها وهو تابع للكندى فى أكثرها » .

المناسبة بين الموسيقى والطب عند الكندى : كما كان الكندى فيلسوفا وطبيعيا وفلكيا وفيزيائيا وكيميائيا، كان موسيقيا وطبيبا أيضا، فرغما عن اشتغاله فى تشريح الانسان والأدوية الطبيعية، تطرق إلى علم النفس مستمدا من الموسيقى . ويذكر ابن القفطى عنه أنه كان له إلمام بصناعة الشعر أيضا، ولا يبعد أن يكون ذلك صحيحا، لأن القرابة بين الفنين عظيمة جدا وخصوصا فى العصور الغابرة . ومنذ بضع سنين انكب على دراسة كيفية كتابة الأنغام العربية القديمة معتمدا على بعض المخطوطات المحفوظة فى عواصم الغرب للكندى أحد اخصائيى تاريخ الموسيقى فى وادى النيل . وفى المقال الممتع عن الموسيقى الاسلامية لفارمر فى كتاب تراث الاسلام المطبوع بالانكليزية فى أكسفورد سنة ١٩٣١ والذى قام بعض الأدباء المصريين بترجمة بعض فصول منه، ذكر لنا بعض آلات عربية وصفها الكندى، وسبع رسائل ألفها الفيلسوف عن نظريات الموسيقى، عالج فيها الأنغام وتراكيبها، ولعل فارمر اعتمد على نفس المخطوطة التى اعتمد عليها الاخصائى المصرى . ورجاء قرآء العربية قيام لجنة الجامعيين لنشر العلم بترجمة بقية فصول كتاب التراث لتتم الفائدة من ذلك الكنز الثمين، كما نتمنى من الاخصائيين نشر دراسة مفصلة عن الموسيقى العربية باللغة العربية .

إن أعجب ما قيل عن الكندى سعيه فى الاستفادة من الأنغام لشفاء المرضى، أى استخدام الموسيقى فى الطب، من أجل ذلك قام فيلسوفنا فى ترتيب الأنغام المنعشة والأنغام المقبضة، فهكذا ورد عنه فى ابن القفطى فى مداواة أحد أبناء التجار : «فلما رأى (الكندى) ابنه وأخذ مجسه أمر بأن يحضر إليه من تلاميذه فى علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود وعرف الطرائق المحزنة والمفرحة والمقوية للقلوب والنفوس، فحضر

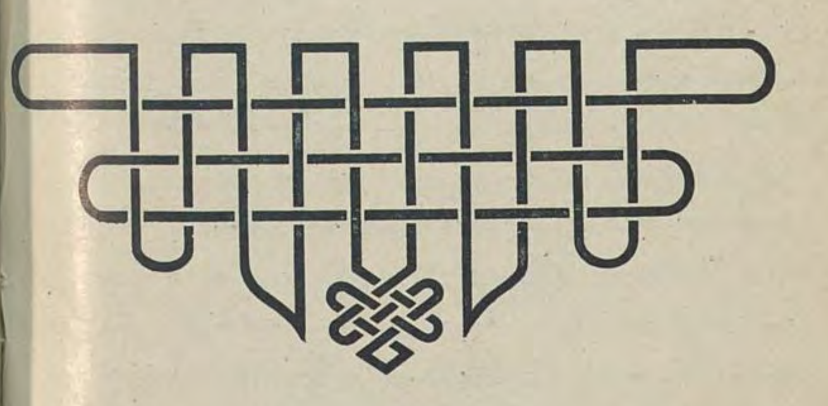
إليه منه أربعة نفر فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا فى طريقة وقّفهم عليها . . . »

ما هى هذه الطريقة التى يذكرها الكندى يا ترى؟ لا نعلم عنها شيئا، حتى إننا لو سألنا الطب العصرى ما أظن أننا سنحظى بجواب . نعم إن الأطباء اليوم يستعملون الموسيقى فى بعض المستشفيات كمسلية ومنعشة ومنشطة أيضا، ولكننا لا نعلم عن علاقة أكيدة بين الأنغام والأمزجة، ولم نسمع بمصح يداوى المرضى بالأنغام بأسلوب خاص يمشى عليه، وذلك بجس النبض أولا وفرض النغم اللازم ثانيا، كما يفرض الطبيب الدواء الذى يراه ضروريا بعد المعاينة . بل إننا لانعلم بمثل ذلك فيمن تقدم، مع أن مؤرخى العلوم قد جادوا علينا بوصف البيمارستانات القديمة . إذن نحن هنا أمام نفسية مبتكرة لا تقلد تقليدا أعمى، بل تشق طريقا جديدا فى البحث والتحرى لم يسبقها إليه أحد أبدا . وكم كان يستفيد العلم لو تابع المدققون ذلك الأسلوب الذى كشفه فيلسوف العرب وسابروا على ترقيته، ولكنه مع الأسف دفن بموت الكندى ولم يعد يعرف أحد عنه شيئا، فلو أن ابن القفطى لم يدون تلك الملاحظة لذهب الكشف فى طيات الخفاء وأصبح نسيا منسيا . ويا حبذا لو قامت المعاهد الطبية بتحريات علمية من هذا القبيل على هدى الكندى، فليس من المستحيل جنى ثمار طيبة فى عالم الطب تنفع بنى الانسان، عند ذلك نبرهن للملأ على قيمة تراثنا لا من الوجهة التاريخية، ولا من حيث اتخاذه حافزا للنهوض لأمة العرب فحسب، بل من الوجهة العملية أيضا؛ فنفعه يكون للعالم أجمع . طبعا إنه لرجم بالغيب التنبأ إلى أى حد من الحدود سيكون التوفيق حظ مثل هذه التحريات، ولكن التجربة والاختبار هما اللذان يعطيان الجواب الحاسم على ذلك .

بناء على ما بيناه يكفى للتعريف بتلك الشخصية الفذة والعبقرية التى لا تموت، أنها طرقت مواضيع قيمة لم يغفل عنها الأوائل فحسب بل جهلها العلم الحديث أيضا، مع أنها جديرة بفتح آفاق جديدة

للبحث والتنقيب . وما أحرى معاهدنا وجامعاتنا ومجامعنا العلمية باحياء ذلك التراث الأثيل، باقتناء المخطوطات النفيسة الموجودة فى خزائن أمهات المكتبات العالمية، وبالسعى فى نشرها بأسلوب علمى عصرى وتبيان قيمتها، عند ذلك يتضح لنا أى تراث أضعناه، وما هى الواجبات المحتمة علينا لاحياء المجد السالف ومجاراة الأمم الناهضة . وما ذلك على همم رجالنا العالمين العاملين بعزيز .

بعد كتابة ما تقدم جاءت مجلة المستمع العربى للاذاعة البريطانيه (سنه ٥، عدد ٥، ص ١٤) بأنه يوجد اليوم عدد من المستشفيات فى أمريكا تعالج فيها الأمراض العصبية بواسطة الموسيقى فقط، بعد التشخيص ووضع برنامج خاص للعلاج الموسيقى الذى يختلف باختلاف حالات المرضى، فاذ قرأنا ذلك قدرنا كشف الكندى الهائل .



ادلارد الباثى

بقلم فؤاد عينتابى

كان القرن الثانى عشر الفجر الذى سبق عصر النهضة فى أوروبا، فمنه انبثقت أول خيوط الثقافة والعلم فى أوروبا فأضاءت فيافى الجهل وأصبحت النفوس تشعر بحياة جديدة ورغبة شديدة للاغتراف من مناهل العلم والعرفان، وشرع العلماء والأدباء يطوفون العواصم والبلاد ويفدون إلى الجامعات والمدارس، ولاسيما العربية منها فى اسبانيا وصقلية للتزود بالعلوم والمعارف . وكانت مدينة طليطلة من أهم مراكز الثقافة فى العالم، فكان يرحل إليها جل العلماء ونخبة الطلاب، وكان طلبة العلم من الانكليز فى طليعة هؤلاء الباحثين والرواد .

ومنذ أن دمر البربر مدينة قرطبة فى مستهل القرن الحادى عشر للميلاد، صارت طليطلة بالتدريج موئل الثقافة الاسلامية فى اسبانيا، وظلت محافظة على هذا المركز الرفيع حتى بعد استيلاء الاسبان عليها فى العام (١٠٨٥م) . وكانت مدارس طليطلة تجذب إليها طلبة العلم من جميع أنحاء أوروبا ومن انكلترة وسكوتلانده أيضا .[1] ومن هؤلاء ادلارد الباثى، وهو من أسبقهم وأكثرهم اهتماما باللغة العربية والعلوم الاسلامية، وكان بحق أول عالم أوروبى امتاز بالفلسفة والرياضيات، وكانت اللغة العربية فى تلك العصور عمدة الأساتذة والطلاب ولغة العلم والثقافة . وقد مثل المؤلفون الانكليز وعلماؤهم دورا هاما جدا فى نقل العلوم العربية إلى اللاتينية، وكان كثير منهم كميكائيل سكوت و(أدلارد الباثى يطوفون البلاد الشرقية ويتلقون العلم فى أوروبا بعيدا عن بلادهم

---

(١) تراث الاسلام ص . (٢٨) Legacy of Islam .



مثال بديع للفن العربى (المغربى) فى كنيسة المدجنون (Mudijar) فى كتدرائية قرطبة .

انكلترا؛ ولكنهما عادا إليها بعد أن تعلما اللغة العربية واطلعا على ثقافة الغرب .[1] ومما تجب ملاحظته أنه لم يكن لأرسطو فى ذلك العصر تلك الزعامة والاجلال، بل كان المفكرون يعتبرون أفلاطون زعيما لهم، فهو «الفيلسوف» عندهم لا أرسطو .[2]

ومما لا شك فيه أن الكتب المترجمة التى نقلها فى العصر الثانى عشر والثالث عشر إلى اللغة اللاتينية، روبرت اف تشستر وهرمان اف دلماسيا وجيرار القرمونى وأدلارد الباثى ، كانت الأساس الذى بنيت عليه الكيمياء الأوروبية .[3] فهؤلاء المؤلفون وإن اختلفت جنسياتهم وأذواقهم فقد كانوا متشابهين فى رغباتهم وميولهم، مغرمين بحماس شديد لفتح خزائن المعرفة وكنوز العلوم الاسلامية للمسيحيين اللاتين .[4] وكانت مؤلفات هؤلاء وغيرهم من العلماء الانكليز الذين اقتحموا الصعاب فى سبيل العلم بزيارة البلاد العربية ذات إثر ثقافى جليل . فلمجهوداتهم الفضل فى ان ما أنتجه العرب فى الفلسفة والعلوم أصبح معروفا فى انكلترا وفى البلاد الغربية، وبذلك خطت الثقافة الأوروبية خطوة هامة فى سبيل ارتقائها . وكان الاثر الذى أحدثته ترجماتهم ومؤلفاتهم أثرا عظيما .[5]

. . . .

كان أدلارد الباثى أول هؤلاء العلماء وأعظمهم، فهو من الشخصيات البارزة بين المفكرين والعلماء فى القرون الوسطى، فقد اشتغل بالترجمة من العربية إلى اللاتينية، وكان أحد السابقين إلى نشر الثقافة العربية فى

---

[1] تراث اسرائيل ص . (٢٣٨) Legacy of Israel .

[2] تراث اسرائيل ص . (٢٤٦) .

[3] "Chemistry to the Time of Dalton" by E. J. Holmyard ص (٣٢) .

[4] "Makers of Chemistry" by E. J. Holmyard ص (٨٤—٨٦) .

[5] المستمع العربى (لندن) ص . (٥) ج (١٠) السنة الأولى ٢١ آب ١٩٤٠ .

الغرب، مولعا باللغة العربية وعلومها، معترفا بفضلها واثرها . «ولذا فلا عجب إذا رأيناه يحض مستمعيه وقراءه على ترك المدارس الأوروبية وتفضيل المدارس العربية عليها .»[1]

عاش أدلارد فى القرن الثانى عشر للميلاد، والغالب أنه ولد فى مدينة باث بانكلترا حوالى العام (١٠٩٠) وظل فى قيد الحياة إلى العام ١١٥٠ . ومما لا ريب فيه أنه ساح كثيرا فى طلب العلم وقام بأسفار واسعة، فدرس فى فرنسة ثم انتقل إلى اسبانيا وصقلية وايطاليا وشمالى إفريقية ومصر وآسيا الصغرى، وجاء إلى سوريا فى الربع الأول من القرن الثانى عشر لدراسة اللغة العربية فأتيح له أن يكون على علم تام بشتى نواحى الثقافة، مطلعا على علوم العرب ومعارفهم؛ ويقال إنه درس الهندسة والفلك على العرب، ولذا كانت كتبه وتآليفه تنبئ عن ثقافته الواسعة وتدل على معرفته اللغة العربية وآدابها، ويغلب على الظن أنه كان يعرف اللغة اليونانية أيضا . «وكانت خدماته للعلوم الرياضية ممتازة جدا .»[2]

عاد إلى انكلترا فى عهد الملك هنرى الاول وحصل على منحة سنوية من واردات خزينة مقاطعة (ولتشير) وحين عودته (إلى انكلترا) صار معلما للأمير هنرى الذى أصبح فيما بعد الملك هنرى الثانى وإليه أهدى أدلارد أحد كتبه .

ترجم أدلارد كثيرا من المؤلفات التى كانت ذات أثر فعال فى بعث الحركة الفكرية والعلمية فى بلاد أوروبا . وكانت باكورة تآليفه رسالة فى الـ Abacus [3] ألفها حوالى العام (١١٠٠) ويوجد منها الآن ثلاث

---

(١) تراث الاسلام ص . (٣٧١) .

(٢) ص . (١٤٧—١٤٨) "A Short History of Science to the 13th Cent." by Ch. Singer.

(٣) اللوح العداد : أداة للحساب أو العد كانت مستعملة فى مدارس الأطفال .

نسخ محفوظة : فى مكتبة الفاتيكان، ومكتبة جامعة ليدن، وفى المكتبة الوطنية فى باريس.[1]

ثم التفت إلى الرياضيات فترجم إلى اللاتينية كتاب الحساب للخوارزمى «وهو الذى يمتاز على غيره بأنه وضع كتابا فى الحساب كان الأول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة فقد نقله أدلارد إلى اللاتينية تحت عنوان (الغورتمى) Algoritmi de Numero Indorum وهذا الكتاب أول كتاب دخل أوروبا وبقى زمنا طويلا مرجع العلماء والتجار والحاسبين والمصدر الذى عليه يعتمدون فى بحوثهم الحسابية وقد يعجب القارئ إذا علم أن الحساب بقى عدة قرون معروفا باسم (الغورتمى) نسبة إلى الخوارزمى»[2] وبهذه الطريقة دخلت الأرقام العربية (الهندية) أوروبا.

وأما أهمية أدلارد فى الفلسفة اللاهوتية فتعود لتأليفه الموسوم ب De Eodem et Diverso (أى المتغير والذى لا يتغير) وهو عبارة عن حوار بين الفلسفة (التى لا تتغير) وال Philocosmy أى المعرفة المتغيرة وقد ألفه حوالى عام ١١٠٦ وكان لا يزال يافعا وأهداه إلى أسقف سيراقوز، وبه حاول أن يوفق بين وجود الفرد والجماعات.[3] وألف بعد ذلك كتابا من أهم كتبه ألا وهو المسائل الطبيعية Quaestiones Naturales وهو خلاصة موجزة، يتضمن ما كان عند العرب من علم ومعرفة، وهو مكتوب على طريقة المحاورة بين أدلارد وابن أخيه، «وكان ابن أخيه هذا قد درس فى جامعات الفرنجة فى الوقت الذى كان أدلارد فيه بين

---

(1) دائرة المعارف البريطانية : ط (١٤) مجلد (١) صفحة (١٦٤).

(2) صفحة (١٠٤) «نواح مجيدة فى الثقافة الاسلامية» — انظر بحث الأستاذ قدرى طوقان عن الأثر العلمى للحضارة الاسلامية وأعظم علمائها. — مطبعة المقتطف (١٩٣٨).

(3) تراث اسرائيل (٢٠٦-٢٠٨).

العرب وتدور المحاورة بينهما على المقارنة بين المذهبين العربى والفرنجى. ويقول أدلارد فى مقدمة الكتاب :– (أنا سأدافع عن مذهب العرب ولست أعبر عن رأيى الشخصى). وهو يصر باسهاب على تفوق الطريقة العربية، وقد ساعد مساعدة عظيمة بنفوذه على انتشارها فى الغرب».(١)

وخطر لأدلارد أن يترجم عام (١١٢٠) لأول مرة من العربية إلى اللاتينية كتاب (أصول اقليدس) الذى أخفاه الجهل والاهمال طى النسيان، فكان بذلك أول من عرف الرياضى الاسكندرى (اقليدس) إلى الشعوب اللاتينية.(٢) فاذا فكرنا بسعة انتشار هذا التأليف – بسبب هذه الترجمة – وما كان له من أثر عظيم، أدركنا حينئذ قيمة هذه الترجمة، وفضل أدلارد الذى كان خير قدوة لمن خلفه من كبار نقلة العلوم كجيرار القرمونى (١١١٤–١١٨٧) Gerard of Cremona .(٣)

وترجم أدلارد من العربية إلى اللاتينية أزياج محمد بن موسى الخوارزمى (وهى جداول فلكية) حوالى علم ١١٢٦، والمدخل فى علم الفلك للخوارزمى أيضا . وقد نشر (سوتر) H. Suter رسالة الخوارزمى الفلكية (فى كوبنهاغن علم ١٩١٤) باللاتينية عن نسخة أدلارد.(٤) وألف رسائل عن الأسطرلاب، منها نسخة محفوظة فى المتحف البريطانى . وترجم إلى اللاتينية أيضا بعض آثار ابى معشر البلخى، المتوفى عام ٢٧٢ للهجرة .

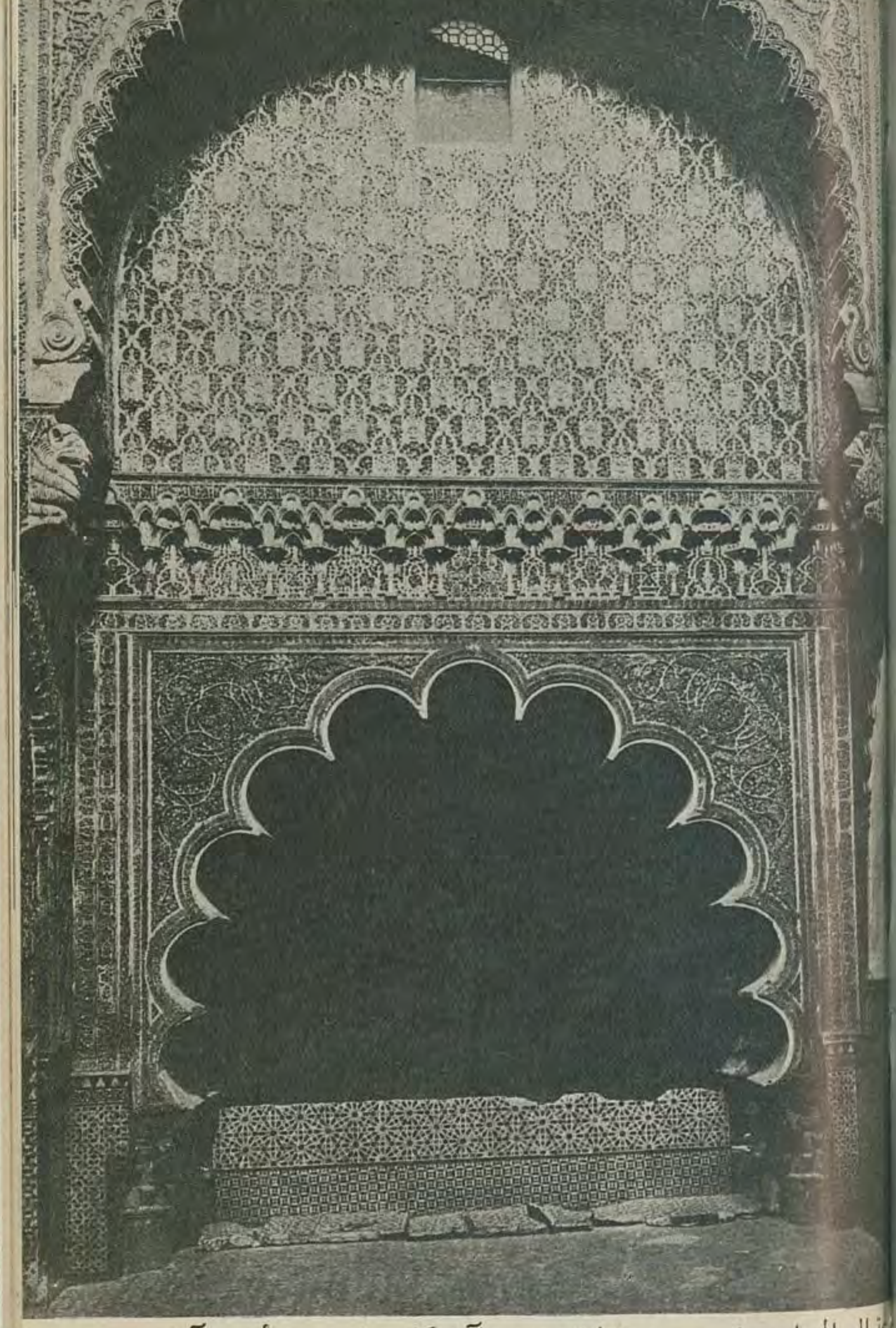
نرى فى حياة أدلارد مايؤيد الرأى القائل بأن الدراسات الطبية فى مدرسة (سالرنو) تأثرت نوعا ما باتصالها بالمؤلفين اليونان فى الطب . ففى أثناء تطوافه فى ايطاليا، وصل أدلارد إلى سالرنو، ويصف نفسه مستمعا – (ولكن ليس فى مدينة سالرنو نفسها، بل فى جوارها القريب) – إلى «فيلسوف يونانى» يتحدث عن «الطب وطبيعة الأشياء» . ومن

(١) المستمع العربى ص (٥) عدد (١٠) السنة الأول ٢١ آب ١٩٤٠ .

(٢) ص (١٤٧–١٤٨) "A Short History of Science" by Ch. Singer

(٣) "Les Penseurs de l'Islam" by Baron Carra de Vaux, Vol. II, p.138

(٤) «تراث الاسلام» ص . (٣٨٨ .)



[...]ة إلى المحراب، فى مسجد قرطبة، وهو الآن كنيسة . وهو أحد الآثار
[...]عربية القليلة الباقية فى مدينة كانت من قبل مركزا للثقافة الاسلامية .

جملة أحاديث هذا «الفيلسوف» وأبحاثه، سبب الجاذبية المغناطيسية. وبذلك يكون أدلارد أول كاتب غربى نوه عن ذلك.[1]

ومن القطعة التالية التى أود أن أختم بها هذا البحث الموجز، مقتبسة من الأحاديث الطريفة التى أذاعها الصديق والزميل سابقا فى معهد الدراسات الشرقية بلندن، الدكتور المستشرق المعروف (برنارد لويس) ثم نشرها فى كتاب قيم (تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية)[2] — نستدل على قوة عارضة (أدلارد) وحرية تفكيره وضميره. قال يخاطب ابن أخيه عن الطريقة التى تعلمها من العرب فى اسبانيا، وكان ذلك قبل ثمانية قرون مضت :—

« إنى — وقائدى ودليلى هو العقل — قد تعلمت شيئا من أساتذتى العرب وأنت قد تعلمت شيئا مختلفا عنه. لقد بهرتك مظاهر السلطة فوضعت فى راسك لجاما تقاد به. وإلا فبأى اسم آخر يمكننا أن نسمى السلطة سوى أنها لجام؟ فكما أن الحيوانات الضارية تقاد من مقودها حيث يشاء الانسان من غير أن تدرى لماذا تقاد ولا أين تقاد، وإنما تتبع الحبل الذى يجرها — كذلك كثير منكم يرسف فى أغلال البساطة وتصديق كل ما يسمع، ويقودكم إلى الخطر سلطة الكتاب والمؤلفين... إن الانسان، قد منح العقل لكى يستخدمه حكما عاليا فى الفصل بين الحق والباطل... إن علينا أن نبحث أول كل شىء عن العقل فاذا اهتدينا إليه — لا قبل أن نهتدى إليه — نبحث فى السلطة فأن سايرت العقل قبلناها. إن السلطة وحدها لا تبعث فى نفس الفيلسوف ثقة ولايجوز أن تستخدم السلطة لمثل هذا الغرض. »

---

(١) ص (٧٩) مجلد (١) "Universities of Europe in the Middle Ages" by H. Rashdall. وحاشية (٣) فى الصفحة نفسها.

(٢) ص (٥) المستمع العربى. ج (١٠) السنة الأولى ٢١ آب ١٩٤٠.

بداية الدراسات الهندية وتقدمها

للأديب الهندى سير آتل تشاترجى

السير آتل تشاترجى من كبار علماء الهنود وهو من أسرة شهيرة نبغ من أفرادها كثيرون شغلوا أرفع المناصب التعليمية والقضائية والادارية وقد تقلب سير آتل فى شتى المناصب العالية منها منصب المندوب السامى للهند فى لندن .

بدأت علاقة انكلترا بالهند فى سنة ١٦٠٠م، حين حصلت شركة الهند الشرقية، المؤلفة من عدد من التجار الانكليز، على مرسوم ملكى من إليزابث ملكة انكلترا يخول لها الاتجار مع الهند والأقطار والجزر المجاورة. وفى الرحلتين الأوليين يممت سفن الشركة شطر الجزائر التى تقع إلى الجنوب الشرقى من الهند، ولكنها فى رحلتها الثالثة قصدت سرات، وكانت إذ ذاك ميناء هامة على الساحل الغربى للهند. وفى سرات أسس الانكليز وكالة تجارية، ثم أسسوا فى السنين التالية وكالات أخرى فى شتى الموانى على الساحل الهندى وأيضا فى بعض المراكز التجارية فى الجزر. واستقرت الجاليات فى بمباى ومدراس وكلكتا فى خلال القرن السابع عشر، بعد أن حصلت على موافقة السلطات المحلية حيث كان هذا الحصول لازما . وحوالى منتصف القرن الثامن عشر بدأ البريطانيون يحصلون على حقوق امتلاكية فى مختلف أجزاء الهند .

فى خلال هذه المرحلة الأولى لزم الوكلاء التجاريين لشركة الهند الشرقية أن يتحصلوا على قدر من العلم بلغات البلاد وعاداتها من أجل أعمالهم التجارية وأيضا لكى يديروا شئون المستعمرات الصغيرة التى عاشوا فيها . والهند بلاد فسيحة الأرجاء يتكلم الناس فيها بشتى اللغات فى شتى الأجزاء . وبالاضافة إلى هذه اللغات الهندية العديدة كان كثير

ين المسلمين يستعملون الفارسية وهى كانت لغة البلاط المغولى، كما أن بعضهم كان على علم بالعربية . أما كتب الهندوس المقدسة فكان أغلبها مكتوبا بالسنسكريتية، بينما اللغات التى تحدث الناس بها فعلا لم يكن بها إذ ذاك من الأدب النثرى إلا القدر اليسير . وفى شمال الهند كانت الهندية، وهى لغة مستمدة من السنسكريتية، قد حفلت بالألفاظ الفارسية والعربية التى زادت من ثروتها، وعرفت هذه اللغة المختلطة بالهندوستانية أو الأردوية، وكانت إذ ذاك آخذة فى الشيوع كلغة للتحادث بين مختلف الأقوام .

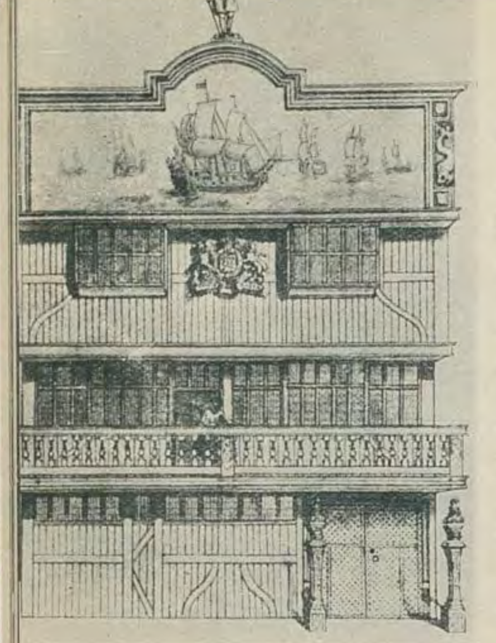
شجعت شركة الهند الشرقية وكلاءها على تعلم لغات التحادث، وسرعان ما أجادها بعضهم بدرجة مرضية . وفى سنة ١٦٣٠ نشر القس هنرى لورد (Henry Lord) وصفا للطبقات الهندية التى تقوم بالاتجار وللهنود الذين يعتنقون الديانة الزردشتية . وقبله بنحو خمسين عاما قام ستيفنز (Stevens) وهو مبشر كاثوليكى فى المستعمرة البرتغالية غوا — بدراسة اللغة المراتية، كما أنشأ بهذه اللغة أشعارا . وقد حذا حذو هنرى لورد موظفون آخرون للشركة. فجون مارشال (John Marshall)، وهو انكليزى ذو ثقافة راقية كان مستخدما فى البنغال، جمع معلومات عن ديانة الهندوس وعاداتهم، وترجم إلى الانكليزية نصا هندوستانيا ل«ساما فيدا» ونصا فارسيا ل «بها جفاتا برانا»، وهو أحد النصوص المقدسة لدى الهندوس التى يمتزج فيها الدين بالتاريخ .

ثم طرأ تغير كبير على مكانة شركة الهند الشرقية وسلطاتها فى سنة



راجا راماهون روى .

١٧٦٥، حين تنازل لها امبراطور المغول عن حق جباية الخراج فى مقاطعات البنغال وبهار وأوريسا. وبعد ذلك تحولت إلى الشركة أيضا إدارة القضاء فى هذه المقاطعات، ونقلت المحاكم العليا إلى كلكتا كما نقلت إليها إدارات الجباية والمالية. وأرسل موظفون بريطانيون إلى الادارات المحلية ليشرفوا عليها من قبل الشركة.



العمارة القديمة لشركة الهند الشرقية «إيست إنديا هوس» القديم.

ثم صار وارين هيستنجز (Warren Hastings) أول حاكم عام للهند البريطانية. وكان هو نفسه محسنا للفارسية والبنغالية، واعتقد أن من الضرورى أن يكون موظفو الشركة على إلمام حسن بقوانين البلاد ولغاتها. وقرر استعمال القوانين المدنية للهندوس والمسلمين لفض المنازعات. وكان كثير من الموظفين المسلمين يعرفون القوانين الاسلامية، ولكن القوانين الدنية الهندوسية كانت مكتوبة بالسنسكريتية، وهذه لا يعرفها بدرجة كافية إلا القليلون من موظفى الشركة بريطانيين كانوا أو هنودا، فأقنع هيستنجز تسعة من علماء البراهمة بأن يضعوا خلاصة للقانون الهندوسى، ثم ترجم هذه الخلاصة إلى الفارسية عالم مسلم يعرف السنسكريتية. وترجم هذا النص الفارسى إلى الانكليزية ليستعمله الموظفون البريطانيون. وكان هذا بدء الدراسة العميقة للقانون الهندوسى والاسلامى التى قام بها المشرعون البريطانيون والهنود والتى لا تزال تدرس إلى اليوم.

وكانت أعمال المحاكم البريطانية فى ذلك الوقت تؤدى باللغة

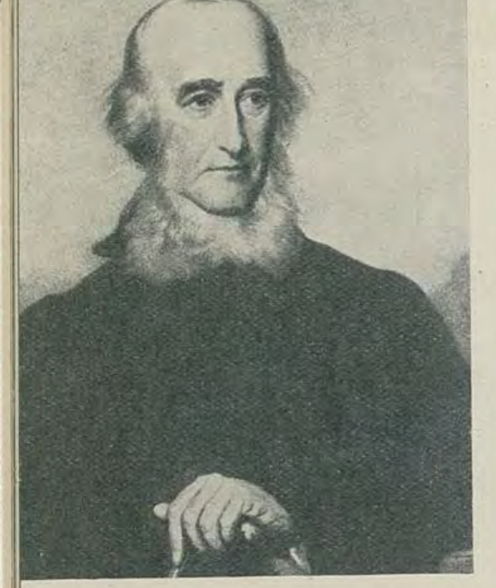
الفارسية، ونتج عن هذا بطبيعة الحال أن موظفى الشركة أجادوا الفارسية علما . وكان بعض مستخدمى الشركة يتعلمون السنسكريتية على العلماء الهنود . وكان تشارلز ولكنز (Wilkins) أول انكليزى أجاد السنسكريتية، وقد ألف أجرومية سنسكريتية، وشجعه وارين هيستنجز على أن يترجم ال «بهاجفت جيتا» ومعناها «نشيد الاله»، وهى من بين المدونات عن عقائد الديانة الهندوسية أكثرها شيوعا وأعظمها حجة. وبعد ذلك صار ولكنز أول أمين للمكتبة المشهورة التى أسستها فى لندن شركة الهند الشرقية والتى تسمى الآن مكتبة وزارة الهند .

فى سنة ١٧٨١ أسس هيستنجز مدرسة كلكتا لدراسة اللغات والعلوم الاسلامية، وكان غرضه من ذلك تشجيع الهنود على أن يدرسوا لغاتهم وآدابهم القديمة دراسة منظمة طبقا لأصول البحث الحديثة . وبعد ذلك بعشر سنوات أسست كلية أخرى لدراسة السنسكريتية فى بنارس، وهى مركز عظيم الشأن للعلم والدين الهندوسيين . وكان لهذين المعهدين تأثير شديد على المتعلمين الهنود فان هؤلاء استجابوا بحماسة و إخلاص . وقد ازدادت هذه الدراسات سهولة ويسرا حينما صار من المستطاع الطباعة بالحروف الهندية، بفضل المجهود المشترك لولكنز وعامل هندى، إذ قاما معا بصنع القوالب وصب الحروف الهندية والعربية .

ثم جاء سير وليم جونز فنفخ فى الدراسات الشرقية روحا جديدة، وهو محام انكليزى عالم بالفارسية وصل إلى كلكتا فى سنة ١٧٨٣ كقاض بالمحكمة العليا . وفى الحال وقف نفسه على دراسة القانون الهندوسى والآداب الهندوسية، كما أنه أسس الجمعية الأسيوية للبنغال . وقد نظمت الجمعية البحوث فى كل فرع من فروع المعرفة الشرقية وجمعت كل الانكليز المتوطنين بالهند والمهتمين بهذه البحوث، ثم صارت أما لجمعيات كثيرة مشابهة أسست بالهند وبأوربا . ولقد قامت بعمل ذى نفع جسيم حين جمعت المخطوطات وطبعت الأصول والترجمات لعدد عظيم من الأبحاث الهامة فى لغات الهند القديمة والحديثة مع شروح وتعليقات . والصحيفة



الشرف مونتستيوارت إلفنستون.



إدوارد كولبروك .

الدورية التى قامت بنشرها الجمعية منذ إنشائها لا زالت محتفظة إلى اليوم بشهرة مستحقة .

وقام سير وليم جونز نفسه بترجمة «شكنتالا»، وهى قصة تمثيلية مشهورة ألفها كاليداسا أعظم شعراء الهنود، كما ترجم مؤلفات سنسكريتية أخرى ذاعت شهرتها فى أوربا . وقد وضع أول طريقة علمية لكتابة الكلمات الشرقية بالحروف الرومانية، وقارن بين السنسكريتية والفارسية وبين اليونانية واللاتينية فوجد بينهما من أوجه التشابه ما مكنه من وضع علم الدراسة اللغوية المقارنة . وقد تمكن جونز من الحصول على المعونة من كثير من العلماء الهنود، وكان منهمكا فى وضع خلاصة للقانون الهندوسى والاسلامى حين وافته المنية فى كلكتا فى سنة ١٧٩٤ ولما يتجاوز السابعة والأربعين من عمره .

واصل هنرى توماس كولبروك (Colebrooke) العمل الذى بدأه سير وليم جونز، وكان موظفا بادارة الدخل، فاهتم فى المبدأ بعادات الهنود وتقاليدهم المتعلقة بالزراعة . وما لبث أن اجتذبته دراسة السنسكريتية، إذ

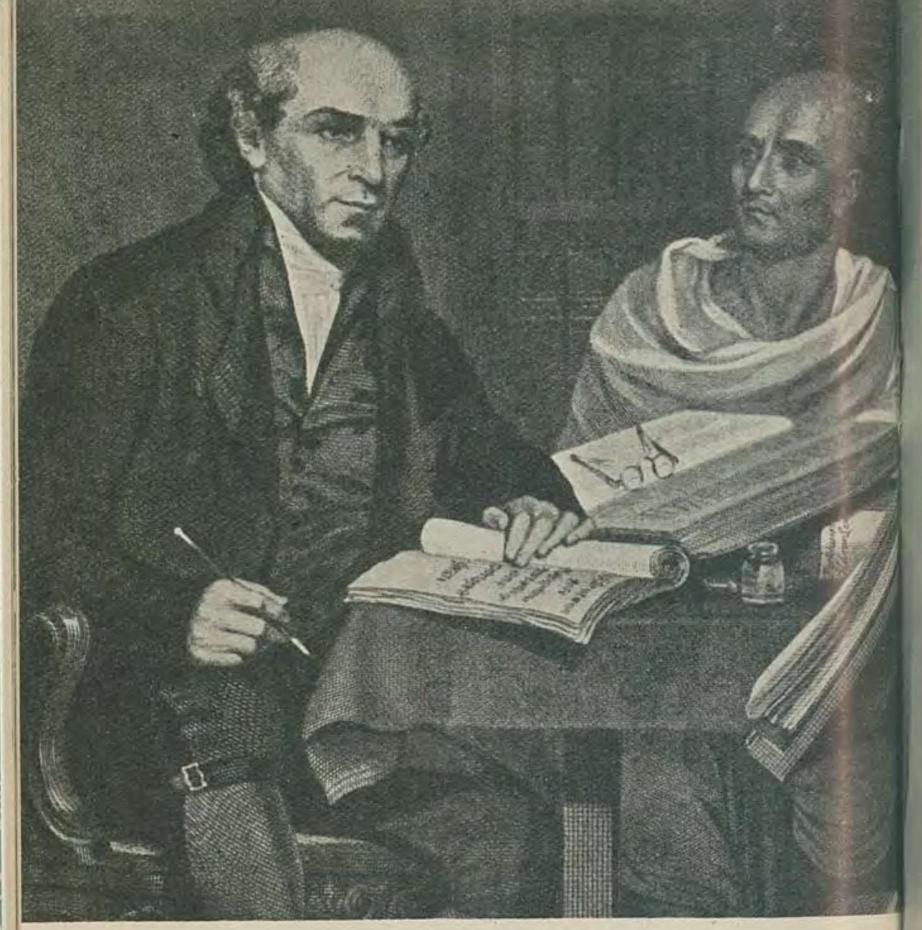
أنها تتضمن كل تقاليد الهندوس وعقائدهم . وقام باتمام خلاصة القوانين الهندية التى بدأها جونز فأنتج بذلك مؤلفا بارع الجودة . وكان كولبروك أول عالم أوربى درس ال«فيدا» دراسة نقدية، وهى أقدم النصوص الهندوسية وأكثرها قداسة . وكان اطلاعه على العلوم الهندية واسع النطاق، شمل النحو والرياضيات والعلم والفلسفة، فوصف عن جدارة بأنه «أبو الدراسة السنسكريتية الصحيحة ومؤسسها فى أوربا» .

بالاضافة إلى دراسة اللغات القديمة، شهد الربع الأخير من القرن الثامن عشر ازدياد اهتمام المتعلمين البريطانيين باللغات الهندية الحية . وقد أدى هذا إلى أن نهضت آداب هذه اللغات نهضة عظيمة، لا تزال مطردة التقدم .

فى سنة ١٧٧٢ نشر هادلى (Hadley) أول أجرومية انكليزية للغة الهندوستانية. وتلتها قواميس ومؤلفات أخرى تبحث فى هذه اللغة. وكذلك البنغالية وضع هالهيد لها أجرومية فى سنة ١٧٧٦ كما ألفت قواميس بنغالية عديدة . وقد ساعدت هذه المؤلفات على توحيد النظام الذى تكتب به لغات الحديث .

فى هذه المرحلة جاء وليم كيرى (Carey) فأسدى يدا بيضاء إلى تقدم الآداب العامية . وهو صانع أحذية انكليزى ذهب إلى الهند كمبشر فى سنة ١٧٩٣ . وفى سنواته الأولى هناك كافح كفاحا طويلا وخصوصا إذ كان الموظفون البريطانيون إذ ذاك يعارضون الدعاية المسيحية فى تلك البلاد أشد معارضة . ولهذا السبب استقر كيرى وزملاؤه فى سرامپور، على بعد اثنى عشر ميلا من كلكتا، وكانت إذ ذاك تابعة للدنمرقيين. وهناك أقاموا مطبعة وبدأوا ينشرون ترجمات الانجيل إلى البنغالية وغيرها من اللغات الهندية إلى جانب كتب الأجرومية ومؤلفات أخرى .

فى ذلك الوقت كان لورد ولسلى (Wellesley) حاكما عاما، فأدرك أن



الأستاذ كيرى ومعه معلمه فى الكلية، كلكتا .

موظفى شركة الهند الشرقية ينبغى عليهم جميعا أن يكونوا على معرفة كافية بقوانين البلاد وعاداتها ولغاتها . فأسس فى كلكتا كلية تسمى كلية فورت وليم لتعليم هذه الموضوعات للموظفين الشبان لدى أول وصولهم . وبعد ذلك أسست الشركة فى هيليبرى (Haileybury) بانكلترا كلية أخرى يتلقى فيها موظفوهم من الشبان تعليما بدائيا، وأسست كلية أخرى فى أديسكومب بالقرب من لندن لضباط الجيش الشبان . ولقد أسدى المعلمون فى هيليبرى وأديسكومب (Addiscombe) خدمات كثيرة

CW Sculpt



إلى اليسار نموذج خطي للكتابة البنغالية. أسفل: صفحتان باللغة البنغالية (ومعهما النطق بحروف إنكليزية) منقولتان عن كتاب «قواعد اللغة البنغالية» تأليف هالهد.

নানা বিধি আসনে বসিলা রাজা গনে।
একে একে সভাকারে পুছিল কথনে॥

Naanaa beedhee aasena bofeelaa Raajaa gona
Aka aka febhaakaara pooch,heelo kot,hena

বসুদেব খুড়া সেনী সাত্যেকির বাপ।
সোমদত্ত দেখি তবে বড় হইল তাপ॥

Bofoodah kheerna Sanee Saatyekeer baap
Somdett dak'hee teba bero ho-ilo taap

ডাকিয়া বলিল সেনী সুন সোমদত্ত।
সভা মাঝে বৈস তুমি এ কোন মহত্ত॥

Daakeeyaa boleelo Sanee foone Somdett
Sebhaa maajha be-ifo tomee a kon mohett

আমা সভা নামানিস কোন অহঙ্কারে।
পৃথিবির মধ্যে কেবা নাজানে তোমারে॥

Aamaa febhaa naamaanees kon ohungkaara
Preet,heebeer malhya kaba naajaana tomaara

মর্য্যদা

মর্য্যদা থাকিতে কেনো নাজাহো উঠিয়া।
আপন সদৃশ স্থানে উঠি বৈস গিয়া॥

এত সুনি সোমদত্ত কোপেতে জলিল।
অগ্নির উপরে জেন ঘৃত ঢালি দিল॥

সোমদত্ত বলে সেনী নাকরিস গর্ব্ব।
তোমার মহিমা জত আমি জানি সর্ব্ব॥

কোন দোষে দোষী আমি কহত সত্তর।
এত কটু ভাসা মোরে কহিস বর্ব্বর॥

তোমা হইতে নিচ কেবা আছয়ে মানুষে।
মোর অগোচর নহে জানিয়ে বিশেষে॥

এতেক সুনিয়া সেনী অতি ক্রোধ মন।
কোপে ডাক দিয়া বলে সুন সর্ব্ব জন॥

এত অহঙ্কার হইল আরে দুরাচার।
পরনিন্দা ছিদ্র নাহি চাহো আপনার॥

ইহার উচিত ফল দিব আমি তোরে।
এত বলি কোপে সেনী উঠিল সত্তরে॥

সেনী

إلى الدراسة العلمية للغات الهندية وإلى طبع نصوصها بحروف هندية .

ثم إن كلية فورت وليم قامت بخدمة أوسع نطاقا وأينع إثمارا . فان خيرة الدارسين البريطانيين عينوا معلمين وعاونتهم عصبة من الهنود الغيورين الأكفاء . وبتأليفهم كتب نصوص لتلامذتهم قاموا بعمل عظيم يكاد يكون خلقاً للآداب النثرية فى لغات الهند العامية، إذ فى ذلك الوقت لم تحتو هذه اللغات إلا على قليل جدا من النثر الجيد . فكيرى ، وكان يعلم البنغالية، ألف كتبا بنثر بنغالى سهل يجمع بين البساطة والنقاء . والعالمان الهنديان رم رم باسو ومريتيونجاى ألفا قصصا بنغالية ومؤلفات أخرى كانت بداية لأدب نثرى بنغالى نباض بالحياة متعدد الجوانب . ونفس الفضل يرجع إلى لا لولال ومير أمان لعملهما الابداعى فى النثر الهندى والأردوى . كما أن تطور النثر المراتى قد عاونه أجرومية كيرى وترجماته إلى اللغة المراتية .

بينا انصب الاهتمام على قوانين الهند ولغاتها، إذ بموظفين بريطانيين آخرين يزداد اهتمامهم بسجلات البلاد التاريخية . فقد كان هناك عدد عظيم من المخطوطات التاريخية التى تتناول العهد الاسلامى من تاريخ الهند، كتبها بالعربية والفارسية مسلمون وهندوس أيضا . وكان أشهرها تاريخ فرشته لحكام دهلى ودكا . فقام اسكندر داو (Dow) وجوناثان سكوت (Scott)، وهما ضابطان فى جيش شركة الهند الشرقية، بطبع ترجمات لفرشته قبل انتهاء القرن الثامن عشر وأضافا إلى تاريخه وصفا لما حدث منذ عصره حتى يومهما . وفى سنة ١٨٢٩ طبع بريجز، وهو موظف آخر بالشركة، ترجمة منقحة لا تزال حجة نافعة يمكن الاعتماد عليها . وكذلك أسدى فرانسيس جلادوين (Gladwin) يدا سابغة إلى تاريخ العهد المغولى إذ نشر فى سنة ١٧٨٣ ترجمة لمؤلف يعطى وصفا كاملا للامبراطورية المغولية ونظام الدخل فى عصر السلطان أكبر العظيم . وكان هناك موظف آخر موهوب من موظفى الشركة وهو جون ليدن، وكان لغويا بارعا، بدأ قبل موته فى عنفوان شبابه يترجم النص الأصلى

لكتاب چغتاى تركى المحتوى على المذكرات الشائقة للامبراطورة بابر، وقد قام بإتمام الترجمة وليم ارسكين. كما أن علماء آخرين قاموا بمثل هذا من الأعمال النافعة، حتى صار فى استطاعة مونتستيوارت إلفنستون (Mountstuart Elphinstone)، الذى ختم سيرته الغراء بالهند بأن صار حاكم بمباى، أن ينشر فى سنة ١٨٤١ كتابه المشهور «تاريخ الهند». وبعد ذلك قام سير هنرى إليوت، وهو من كبار الموظفين البريطانيين، بجمع مقدار ضخم من المواد التاريخية، اعبها بالفارسية، كلفه جمعها عناء كبيرا، وبعد وفاته نشر ترجمات لها جون دوسن (Dowson)، وهو أستاذ لندنى. وهذا المؤلف المشتمل على ثمانية مجلدات لايزال مرجعا لا يستغنى عنه جميع الدارسين لتاريخ الهند فى العهد الاسلامى، وإن كان كثير من المصادر الأصلية قد طبعها ونشرها كاملة باحثون أحدث عهدا، نذكر منهم بلوكمان (Blockman) وكين (Keene) وارفين (Irvine) وروجرز (Rogers) وبيفردج (Beveridge) ومورلند (Moreland). هذه الدراسات لايزال يتابعها كثير من الباحثين الهنود، الذين يجدون لهم أسوة حسنة فى الرواد البريطانيين الأوائل.

أما التاريخ الهندى السابق للعهد الاسلامى فلم يوجد إلا القليل من المؤلفات التاريخية الحقة التى تلقى عليه ضوءا، فلزم الاعتماد على مصادر أخرى. فبعض الحقائق يمكن التقاطها من كتابات المؤلفين اليونان والصينيين والعرب الذين كانت معرفتهم بالهند مباشرة أو غير مباشرة. واستخلصت معلومات أخرى من النقود القديمة التى كانت تستكشف وتجمع من وقت إلى وقت؛ ومن النقوش على الصخور والأعمدة والأبنية التى أرخت عليها أعمال الحكام القدماء؛ ومن الألواح النحاسية التى تتضمن عقود الهبة أو منح الأراضى. وكان هناك مصدر آخر هو الأدب القديم المكتوب بالسنسكريتية أو اللغات المشتقة منها، وهو وإن لم يكن تاريخا بالمعنى الصحيح فانه كثيرا ما يحتوى على حقائق تاريخية. وهكذا استطاع سير وليم جونز أن يتحقق من أن الامبراطور



شاه جهان جالسا على عرشه .

تشندراجپتا المذكور فى رواية تمثيلية سنسكريتية هو بعينه سندروكتوس الذى ذكره السفير اليونانى مجاسثينيس، وبهذا حقق زمن تشندراجپتا .

ولكن فى البدء قامت عقبة كأداء فى سبيل فك رموز النقوش إذ

كانت قد ضاعت المعرفة بالحروف المستخدمة فيها . فالحروف البراهمية مثلا قد تبدلت ثلاث مرات على الأقل فى خلال السنوات المائتين والألف منذ سنة ٢٥٠ ق. م. ولم تعد تشبه الحروف الحديثة المستعملة الآن . وكانت هناك حروف أخرى كانت مستعملة فى شمال غربى الهند وصارت تسمى الخاروشثية وأصبحت الآن منقرضة هى الأخرى. وكانت اللغة الخاروشثية قريبة من السنسكريتية ولكنها كانت تقرأ من اليمين إلى



سير ج . جريرسن .

اليسار كالعربية والأردوية وليس من اليسار إلى اليمين كاللغات اللاتينية أو اللغات الهندية الأخرى .

غير أن كثيرا من الباحثين بصبرهم وجلدهم على البحث استطاعوا بالتدريج أن يحلوا بعض هذه المشاكل، حتى جاء برنسب (Prinsep) واستطاع بعبقريته الوقادة أن يهتدى حوالى سنة ١٨٣٧ إلى المفاتيح التى تحل بها هذه الحروف القديمة . كان برنسب رجل علم وهندسة استخدمته الشركة وكان زميلا لهوراس هايمان ولسن، وهو موظف آخر امتاز بدراساته السنسكريتية . فتعاون ولسن وبرنسب فى الاشراف على النقود والنقوش التى كانت تتجمع فى متحف جمعية البنغال الأسيوية وكانت تنشر أوصاف لها بين حين وحين. وقد ازداد غنى هذه المجموعات ازديادا سريعا بفضل استكشافات ماسون (Masson) فى الحدور الشمالية الغربية وفى افغانستان، وبفضل الاستكشافات الأثرية التى حققها سير اسكندر كننجهام، وهو مهندس صار فيما بعد أول مدير لمصلحة المساحة الأثرية بالهند .

ثم واصل باحثون بريطانيون آخرون دراسة النقوش والمسكوكات ومكنهم من هذا استكشاف الحروف القديمة . وهكذا صار تاريخ الهند القديم يضم وصلة إلى وصلة بالمطابقة بين كثير من المصادر المختلفة وإن كانت ثغرات عديدة هامة لا تزال شاغرة لم تسد . هذا العمل القيم يزاول الآن بنشاط وحمية وخصوصا على يد باحثين هنود يحذون حذو الرواد البريطانيين . ومن هؤلاء الرواد عدا من سبقت الاشارة إليهم تد (Tod) وإدوارد توماس وفليت (Fleet) وفنسنت سميث ورابسن (Rapson). وقد برز فى هذا الميدان أيضا فى القرن التاسع عشر هنود عديدون مثل بهاندركار، وإندراجى، وسير سيد أحمد خان، وراجا راجندرا لالا مترا، وهارا برشاد شاسترى .

أما اللغات الشائعة فى جنوب الهند فتنتمى إلى المجموعة الدرافيدية وتختلف كل الاختلاف عن اللغات الآرية الشائعة فى سائر الهند . لذلك كان البحث فى تاريخ جنوب الهند عملا متخصصا . وقد اشتغل عديد من الانكليز فى هذا الفرع، وأولهم كولن ماكنزى فى آخر القرن الثامن عشر، وتبعه كثيرون نذكر منهم سير والتر إليوت (Elliot)، وبرنل (Burnell)، ورايس (Rice)، وسوول (Sewell) . وهنا أيضا اقتحم الباحثون الهنود ميدان البحث ولايزالون يواصلون العمل فيه .

أما فى دراسة الآثار كعلم متميز، فحتى قبل أن يقوم كننجهام ببعض استكشافاته، كان جيمز فرجوسن (Fergusson) قد نشر كتابه الشهير «تاريخ العمارة الهندية والشرقية»، الذى يتضمن أوصافا محيحة لآثار الهند الهندوسية والبوذية والاسلامية . وقد خلف كننجهام فى عمله كرئيس للدراسة الأثرية، جيمز برجسن (Burgess)، الذى وقف نفسه على بنايات غربى الهند . كما أن اللورد كرزون، حين كان حاكما للهند فى أوائل هذا القرن، اهتم أشد اهتمام بدراسة الآثار الهندية، ولما صار سير جون مارشال رئيسا لادارة البحث الأثرى، قدر له نجاح عظيم فى حفظ الآثار وفى استكشافها سويـا . وبينما كان راخـال داس

بانرجى يشتغل تحت رياسة مارشال، إذ به يعثر للمرة الأولى على بقايا الحضارة السندية البالغة القدم، التى كانت مزدهرة فى السند والپنجاب منذ خمسة آلاف سنة . والآن قد وكل إلى الهنود جانب كبير من البحث الأثرى أيضا .

وإلى جانب الأبحاث التاريخية والأثرية التى ذكرناها وجه الباحثون البريطانيون والهنود عنايتهم إلى أن يمحصوا وينشروا المؤلفات القديمة المتضمنة لديانة الهندوس وفلسفتهم . ومن أوائل المجهودات فى هذا الميدان ترجمات « اوپانيشاد » وهى الملاحق الفلسفية للفيدا، وقام بترجمتها راجا رام موهن راى . وكان عالما براهميا قام بدراسة الاسلام والبوذية والمسيحية دراسة دقيقة مليئة بالفهم والعطف ورغب فى أن يطهر الهندوسية مما تتجمع حول عقيدتها الأصيلة من الخرافات والأوهام . وإن مجهوداته الثقافية والاجتماعية والتعليمية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر قد خلفت أثرا عميقا على الحياة الهندية . وحين عاد ولسن — وقد سبقت الاشارة إليه فى هذا المقال — إلى انكلترا، نشر ترجمة لـ « فشنو پرانا » و« ريج فيدا » وهى أهم كتب الفيدا الأربعة . وفى نفس الميدان تم عمل قيم ضخم فى القرن الماضى على يد ماكس مولر (Max Muller)، وهو أستاذ بأكسفورد، وجون ميور (Muir)، وهو موظف بريطانى خدم فى الهند، و ا . ب . كاول (Cowell)، وهو أستاذ بكلكتا وكمبردج . ومنذ ذلك الحين قام كثيرون غيرهم من الباحثين بريطانيين وهنودا بنشر أبحاث هامة عن فلسفة الهندوس وديانتهم .

اهتم ا . ب . كاول بشئون شتى، وهو من أبرز العلماء البريطانيين الذين كانت لهم أنصع الأيادى على تفسير الديانة البوذية والكتب المقدسة البوذية التى كان منشؤها فى الهند . والأدب البوذى بعضه مكتوب بالسنسكريتية وبعضه بالپالية التى كانت لغة الحديث فى أصقاع فسيحة من شمال الهند حين كان بوذا حيا . وفى هذا الفرع من الدراسة كان ب . ه . هدجسون (Hodgson)، وهو موظف آخر بشركة الهند

أعلى : منظر عام للكهوف الشهيرة فى أجانتا فى إمارة حيدرآباد، بالهند.
أسفل : هيكل كايلاسور المنحوت من الصخر (جان) وفيه تظهر مسلة سيفا.

الجزء الأعلى لواجهة
كهف سوتار-كى
جونپرى فى إلورا
بامارة حيدرآباد،
بالهند .



واجهة الكهف
رقم ٢٦ فى أجانتا،
بامارة حيدرآباد،
بالهند .

الشرقية، أول العاملين، وتبعه باحثون كثيرون نذكر منهم ج. ترنور (Turnour)، والسيدة رايس دافيز (Rhys Davies)، و ر. س. تشلدرز (Childers)، واللورد تشالمرز (Chalmers).

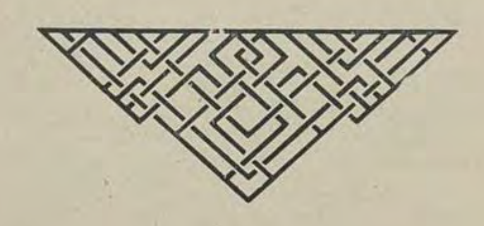
قد ذكرنا أن تاريخ جنوب الهند يتطلب بحثا متخصصا بسبب اختلافه اللغوى عن الشمال. و إن لغات جنوب الهند وآدابه القديمة قد قام بدراستها دراسة دقيقة موظفون بريطانيون عديدون كانوا مستخدمين فى تلك النواحى من البلاد. ولا يسمح لنا ضيق الفراغ إلا بأن نذكر أسماء ف. و. إليس (Ellis)، وسى. پ. براون، والأسقف كالدويل (Caldwell).

ولقد قام بريطانيون متخصصون فى علوم اللغة والاشتقاق بدراسة العدد العظيم من اللغات واللهجات الشائعة فى مختلف أجزاء الهند، ودراسة ما طرأ عليها من التغيرات والتطورات خلال القرون؛ ومن هؤلاء الباحثين هكريل (Hocrale)، وبيمز (Beames)، وسير جورج جريرسن. وأخيرا وكلت الحكومة إلى جريرسن القيام باستعراض دقيق شامل لكل لغات الهند ولهجاتها، وقد حبس جريرسن (Grierson) نفسه على هذا العمل العظيم مدة ثلاثين سنة منذ سنة ١٨٩٨ وأتمه بدقة متناهية وعناية وافية شأن الباحثين الأعاظم.

ليس من المستطاع فى هذا المجال إعطاء وصف كامل للفروع الكثيرة الأخرى من الدراسات الهندية التى كان للباحثين البريطانيين الأيادى الطولى عليها فى خلال السنوات المائة المنصرمة. ولا يمكننا إلا أن نشير مجرد إشارة إلى قليل منها. ففى علم دراسة الأجناس البشرية (أنثروبولوجيا) وعلم أصول السلالات البشرية (أثنولوجيا) قام عديد من الدارسين بأبحاث شائقة قيمة، ومنهم سير جورج كامبل، وكولونل دالتن، والقس م. ا. شرنج (Sherning)، و إبتسون (Ibbetson)، ورسلى (Risley)، وكذلك أشخاص بارزون قاموا بالاحصاءات الدورية لسكان الهند. وقام كولبروك ببحوث فى الأنظمة الهندية الرياضية والفلكية، وتبعه فى هذه البحوث اخصائيون آخرون آخرهم ج. ر. كاى.

كذلك شجع على القيام بالبحوث فى الفن الهندى القديم العثور ع
هياكل الكهوف فى أجانتا و إلورا، وقد بذلت عناية سخية لنسخ وح
الصور فى هذه الهياكل والهياكل الأخرى . وقد نشرت مؤلفات كثي
قيمة عن الفن الهندى، وتقوم الآن جمعيات فى الهند وانكلترا بخدما
جليلة فى دراسة هذا الفن .

فى هذا العرض الموجز لم يكن فى استطاعتنا أن نقدم إلا أبرز الحقائ
وأهمها فيما يتعلق بالخدمات التى أسداها الباحثون البريطانيون إ
الدراسات الهندية. وقد تحاشينا أن نذكر الباحثين الأحياء ما عداو احد
هذا العمل الرائع لايزال يواصل، والباحثون الهنود الذين أثار اهتمامه
بالموضوع ما بذله الدارسون البريطانيون، يتعاونون الآن تعاونا نشي
فى كل فروع البحث . وحين يحاول المرء أن يحكم على قيمة عمل الباحث
البريطانيين الأول، فان عليه أن يتذكر دائما الظروف التى جاهد
فيها . فالى جانب قيامهم بالبحث كانت على كواهلهم واجبات ثقيلة
وظائفهم ومهنهم المختلفة . والمناخ كان مثبطا لهمتهم بل كثيرا ما ك
ضارا بصحتهم، ولم يكن فى متناولهم مكتبات أو متاحف أو مراج
للبحث . ولم يكونوا ينتظرون لا شهرة ولا مكافأة . وقد مات كثير م
هؤلاء الباحثين فى ريعان حياتهم بسبب اعتلال الصحة أو إنهاك العم
الزائد . ولكن مجهوداتهم أثمرت ثمارها؛ ولقد وطدوا دعائم صلة باق
بين الباحثين البريطانيين والهنود؛ و إن العالم لمدين لهم بما حصله م
العلم بفن الهند وفلسفتها وأدبها .





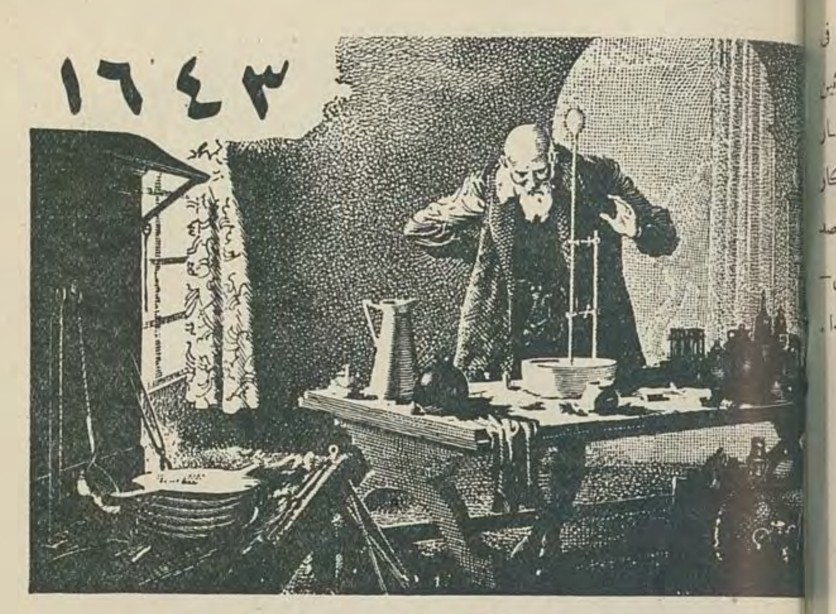
مدخل الكهف رقم ١٩ فى أجانتا .



داخلية الكهف رقم ٢٦ فى أجانتا .

إن الوضع الجغرافى لبريطانيا العظمى فى
مركز الكتلة اليابسة للكرة الأرضية هو
المركز المنطقى لصناعة النقل الجوى
فى العالم . والمهندسون والمصممون
البريطانيون ، وقد خرجوا مظفرين من
ميدان التصميم والإنتاج لطيارات القتال
الممتازة فى الحرب ، يقومون الآن بإتقان
طيارات النقل الحديثة من كل نوع
الحجم والوظيفة . إن هؤلاء الوارثين
للتقاليد المعدومة النظير على البحا
السبعة ، إن هؤلاء السباقين فى ابتكا
الطائرات ذات الاندفاع النافورى والرص
الأثيرى (رادر) ، يقومون — وسيقومون
بسد جميع مطالب العصر الجوى اليوم وغدا





كانت بداية هذا كله منذ ٣٠٠ سنة مضت

ن غاليليو قد خمّن أن للهواء وزنا. ولكن تلميذيه توريسيلى، ڤيڤيانى، هما اللذان برهنا على أن للجو ثقلا يكفى لحمل عمود من زئبق طوله ثلاثون بوصة. ومما هو أشد اتصالا بالموضوع أنهما فى ثناء تلك البرهنة وقفا على الفراغ (أى استكشفا تفريغ مكان من الهواء)—وهو أمر لا يمكن من غيره أن يؤدى صمام المذياع عمله. وبذلك يمكن أن يقال أن هؤلاء الروّاد من علماء القرن السابع شر قد مهدوا السبيل لعلم الإذاعة؛ وهو العلم الذى جعل اسم مولارد شهيرا فى جميع أنحاء العالم.

مولارد

الاسم المسيطر فى ميدان الصمامات منذ ابتداء المذياع.

شركة مولارد للخدمة اللاسلكية لمتد.

سنشرى هاوس، شافتسبرى أفنيو، لندن (W.C. 2).

MULLARD WIRELESS SERVICE Co., Ltd., Century House, Shaftesbury Avenue
LONDON, W.C.2.



خبرة ١٠٠ سنة

فى

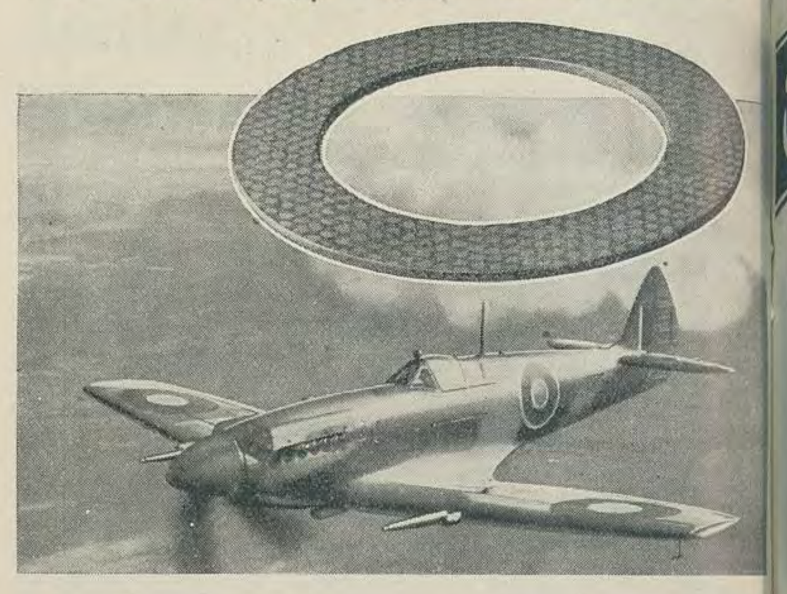
صناعة وتصدير

غزل القطن ، والصوف ، والحرير الصناعى ، وأنواع الغزل الأخ

بضائع الأقمشة من جميع الأصناف

AERLEIN BROTHERS LTD., MANCHESTER

ماذا فعلت فى أثناء الحرب العالمية يا فيرودو ؟



كان من الأعمال الأساسية الكثيرة التى بذلناها فى أثناء جهودنا الحربية العمل الآتى : كانت الأكثرية العظمى لآلات رولس - رويس المستعملة فى قوة السلاح الملكى للطيران ، فى أثناء الحرب ، مجهزة بأغطية مقبض فيرودو فوق دفاعاتها العليا التى فى قدرتها أن تنقل ٤½ قوة حصان عن كل بوصة مربعة أكثر مما يمكن أن يحتاجه المقبض فى السيارة الخاصة التى تمتلكها .

وما قيمة هذا لك ؟ والجواب ببساطة هو : إذا كانت شركة فيرودو لمتد تستطيع أن تصنع مواد احتكاك لها هذه القوة فى احتمال المجهود ، فما أعظم استعدادها لتلبية مطالب أصحاب السيارات العادية . إنه مما يعود بالنفع أن تخص بالذكر مواد الاحتكاك التى من صنع فيرودو .

فيرودو ليمتد

FERODO

فيرودو ، مورد مواد الاحتكاك فى الجهود الحربية البريطانية - علامة مسجلة

RECD. TRADE MARK FERODO

فيرودو ليمتد ، تشابل - أن - لى - فريث ، انكلترة

FERODO LTD., CHAPEL-EN-LE-FRITH - - ENGLAND


في السلم والحرب — ممتاز على الطريق وفي الهواء
ROLLS-ROYCE
رولز رويس سيارات و ماكينات جوية

كيف سُدّت مطالب بريطانيا



كان الألمان يظنون أنه ليس لدى الحلفاء طائرة مطاردة تستطيع أن تلحق القنبلة الطا
رقم ١ ، ولكنهم لم يكونوا على علم بطائرة هوكر تِمْبِسْت — أسرع طائرة مطاردة ف
العالم ، وصاحبة الفضل فى تحطيم أكثر من ٦٠٠ قنبلة طائرة . وقد كان إنتاج هذ
الطائرة المطاردة الموفقة فى الوقت المناسب مثلا آخر على أن مطالب بريطانيا لتها

مجموعة هوكر سِيدْلى

HAWKER SIDDELEY AIRCRAFT CO. LTD., THE GABLES, KENILWORTH, ENGLAND
A. V. ROE & CO. LTD.; HAWKER AIRCRAFT LTD.; GLOSTER AIRCRAFT CO. LTD.; ARMSTRONG SIDDELEY MOTORS LTD.; AIR SERVICE TRAINING LTD.; SIR W. G. ARMSTRONG WHITWORTH AIRCRAFT LTD.

الصورة الخلفية للنجاح — وسائل النقل

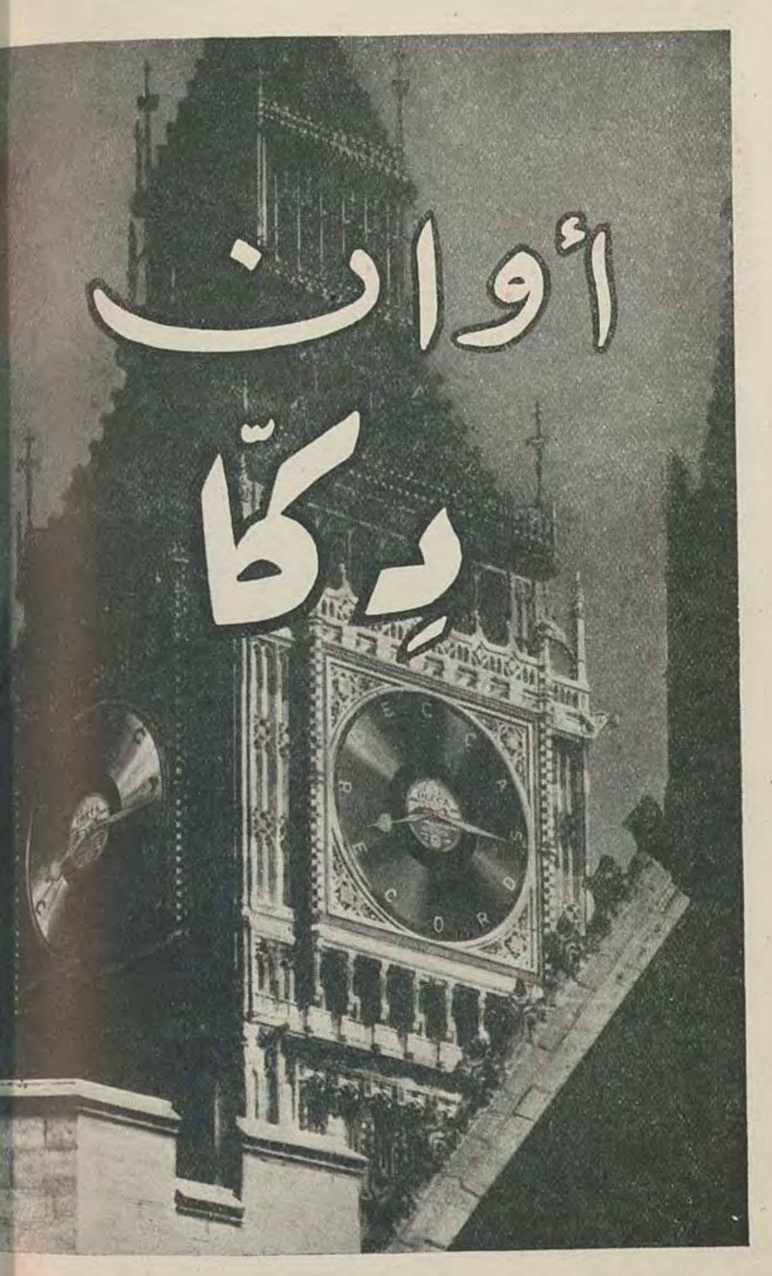
ن شركة ب. ت. ه. دائما فى الطليعة فى الاختراع والتطور ، فى تجهيز الخطوط الرئيسية
وخطوط الضواحى المكهربة للسكة الحديدية ، سواء فى إنكلترة أو وراء البحار ، بما فى
ذلك النظام الفريد للسكة الحديدية «السردابية» فى لندن . وليس ذلك مقصورا على
المحركات التى تسير القطر ، أو على الوسائل البالغة التى تسيطر على النظام ، بل يشمل
ذلك أيضا المحطات الفرعية التى تزود السكك الحديدية بالقوة المحركة . أما فى مجال
النور فهذه مصابيح مَزْدا بأنواعها وأحجامها المتعددة تستعمل فى جميع خطوط النقل
البريطانية على السكة الحديدية وعلى الطرق .

الشركة البريطانية تومسون هَوِسْتون لمتد ،
ركبى ، إنكلترة .

BTH RUGBY

THE BRITISH THOMSON-HOUSTON COMPANY LIMITED, RUGBY, ENGLAND




أوان
دِكّا



فى طليعة التقدم الكهربائى دائماً



تطورت نظم التصرف فى المواد، من حيث اتساع حجمها وزيادة أهميتها، بما بدا من علاقتها بازدياد الكفاءة الصناعية. إن ما قامت به شركة ج. إ. س.، ذات الزعامة فى البحث الكهربائى والجهود الهندسية الفنية فى بريطانيا، من إنشاء المعدات الكهربائية فى جهات مختلفة من العالم، فى مناجم التعدين، ومناجم الفحم، ومحطات توليد الكهرباء، ومصانع غاز الاستصباح، ومصانع الفولاذ، والمصانع العامة، وأحواض السفن الخ — كل ذلك كان عاملا قويا فى الجهود الحربية للأمم المتحدة. إن ما اكتسبته الشركة من الخبرة الطويلة فى هذا الفرع الإخصائى من الهندسة يمكن أن يكون ذا قيمة لا تقدر لكل من تعنيهم مسائل التصرف فى المواد.

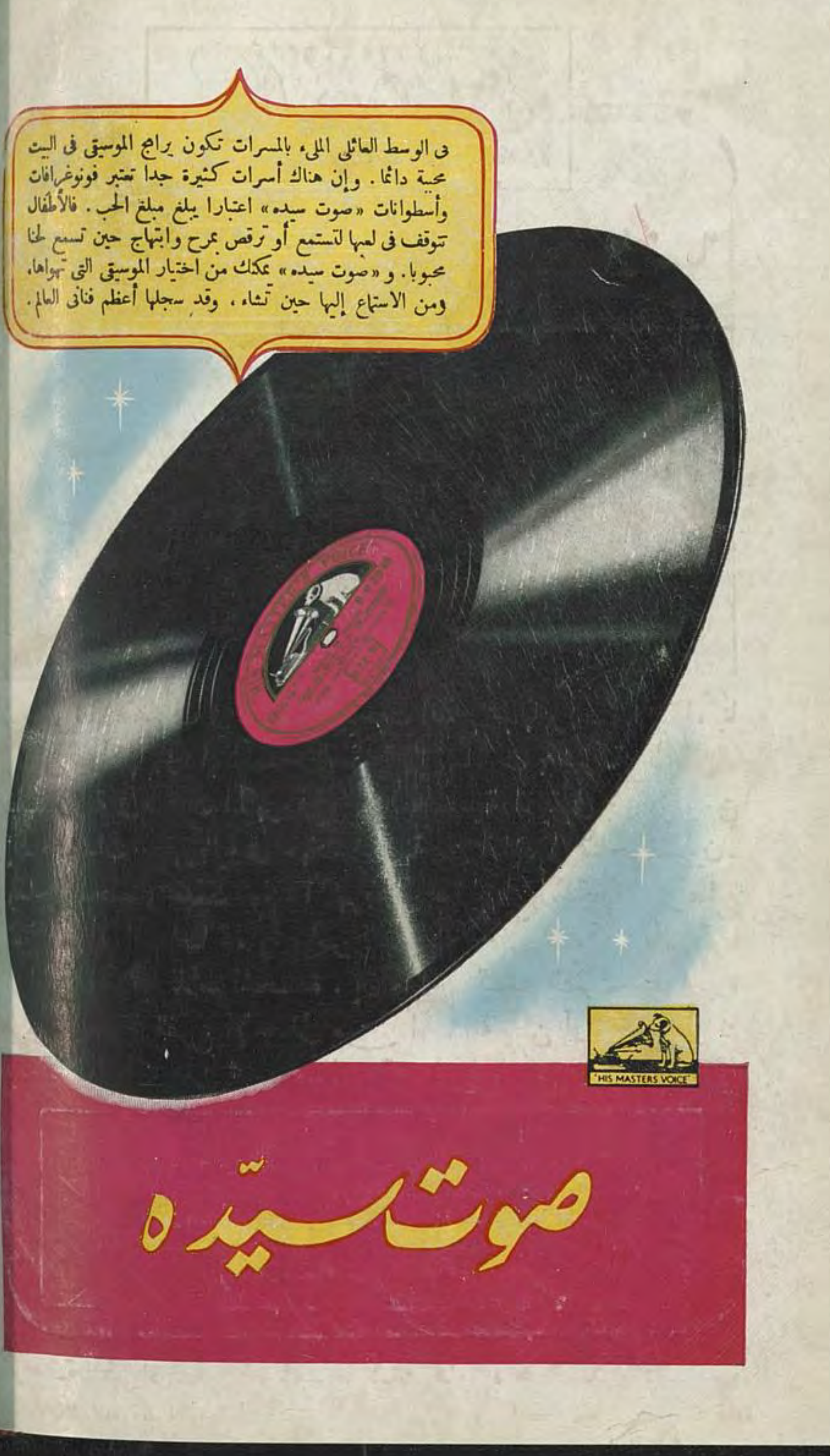
مشروعات الكهربة

مشروعات ج. إ. س. للكهربة قد طبقت على جميع الصناعات، بما فى ذلك: مصانع الطائرات، مصانع المواد الكيماوية، مناجم الفحم، مصانع المواد الغذائية؛ مناجم الذهب؛ مصانع الحديد والصلب والنحاس، مصانع القاطرات وعربات السكك الحديدية وعجلات النقل؛ مصانع السيارات؛ معامل تكرير الزيت؛ السفن وأحواض السفن؛ مصانع النسيج، الخ. الخ.

شركة الكهرباء العمومية، لمتد. ماگنت هاوس، كنگزواى، لندن.

THE GENERAL ELECTRIC Co. Ltd., MAGNET HOUSE, KINGSWAY, LONDON

Branches and Agents throughout the World


فى الوسط العائلى الملىء بالمسرات تكون برامج الموسيقى فى البيت محببة دائما. وإن هناك أسرات كثيرة جدا تعتبر فونوغرافات وأسطوانات «صوت سيده» اعتبارا يبلغ مبلغ الحب. فالأطفال تتوقف فى لعبها لتستمع أو ترقص بمرح وابتهاج حين تسمع لحنا محبوبا. و «صوت سيده» يمكنك من اختيار الموسيقى التى تهواها، ومن الاستماع إليها حين تشاء، وقد سجلها أعظم فنانى العالم.
HIS MASTERS VOICE
صوت سيده